مجلة الملحدين العرب

مجلة شهرية بجهود فردية تصدر في الثاني عشر من كل شهر

السعادة:
جدل الدين والإلحاد
د.عبد العزيز القناعي

حصانة المقدس جـ 3
عباس عبود

هدم أسطورة دين العفة
جـ 7: محمد - 3
Moussa Eightyzz

غونتر لولينغ واكتشاف محمد

تهدف مجلّة الملحدين العرب إلى نشر وتوثيق أفكار الملحدين العرب المتنوعة وبحريّةٍ كاملة، وهي مجلّةٌ رقميةٌ غير ربحيّة، مبنيةٌ بجهودٍ طوعيةٍ لا تتبع أيَّ توجهٍ سياسي. المعلومات والمواضيع المنشورة في المجلّة تمثل آراء كاتبيها فقط، وهي مسؤوليّتهم من الناحية الأدبيّة ومن ناحية حقوق النشر وحفظ الملكيّة الفكريّة.

العدد الثامن والستون من مجلة الملحدين العرب - يوليو / تموز لسنة 2018.

كلمة تحرير المجلة

من أهم التجارب النفسية التي أُجريت في سبعينات القرن الماضي وأكثرها إثارةً للجدل كانت تجربة سجن ستانفورد Stanford Prison Experiment، والتي كانت تحت إشراف العالم النفسي دكتور فيليب زيمباردو، حيث تم أخذ متطوعين من طلاب الجامعة بعد نشر إعلانٍ في الجريدة يطلب متطوعين لتجربةٍ نفسيةٍ وبأجرٍ مدفوع، فتم قبول 24 متطوعًا تم تقسيمهم لمساجين وحراس، وكان الأساس في تهيئة الحراس هو طمأنتهم بأن لهم كامل الصلاحية في فعل أي شيءٍ لقمع المساجين بل وتشجيعهم على التطرف كما يشاؤون، مسموحٌ لهم بكافة أنواع الإهانات والعقوبات ما عدا الأذى الجسدي، وأراد العلماء أن يروا مدى تأثير إخفاء الشخصية وعدم تحمل المسؤولية على الحراس، فكان لها الأثر الكبير حيث ألبسوهم جميعًا زيًّا موحدًا ونظاراتٍ شمسية، وبالمقابل تم سحب أي هويةٍ مميزةٍ للسجناء فألبسوهم لباسًا موحدًا فضفاضًا وأعطوهم أرقامًا لمناداتهم بها بدلًا من الأسماء بغرض إنقاصهم عن منزلة البشر، وتم اعتقالهم بطريقةٍ حقيقيةٍ من بيوتهم، وأخذِهم إلى السجن الذي كان في قبو قسم الطب النفسي في جامعة ستانفورد؛ مرّ اليوم الأول بسلامٍ ولكن منذ اليوم الثاني بدأت المشاكل والعصيان من السجناء والسادية من الحراس، فاتخذوا وسائل مختلفةً لإهانتهم وتعذيبهم نفسيًا وتجويعهم، وبثّ الفرقة والمؤامرات بينهم! حتى أضرب أحدهم عن الطعام وأصبح بحالةٍ سيئة، وفي اليوم السادس دخلت خطيبة الدكتور فيليب ورأت ما يحدث فأصرت أن ينهي التجربة التي كان من المقرر لها أن تستمر أسبوعين!

التجربة لاقت صدًى واسعًا واعتراضاتٍ كثيرةً على مدى أخلاقيتها وحياديتها، خاصةً وأن الحراس دخلوا وهم يريدون التطرف حتى يفيدوا البحث العلمي حسب اعتقادهم! ولكن سواءً كان ذلك لفائدة البحث العلمي أو لتنفيس بعض الجوانب التي وجدوا وسيلةً لتنفيسها دون تحمل مسؤولية، فإن هذا يخبرنا الكثير عن الطبيعة البشرية، حيث بإمكان البشر أن يفعلوا الأهوال إذا ربطوها بقضيةٍ ساميةٍ أو هدفٍ يعتقدون بأنه نبيل!

وتعطينا نتائج التجربة الكثير حول الخط الفاصل بين الخير والشر ومتى يكون الإنسان العادي شريرًا وهل الظروف هي التي تقرر أم البشر هم الذين يقررون!

مايحدث في السجون وما يحدث في أي نظامٍ قمعيٍّ في النهاية واحد، فما فعله النازيون كان لأهدافٍ ساميةٍ في نظرهم! ومايفعله الإرهابيون هو لأهدافٍ ساميةٍ في نظرهم أيضًا!

لذلك نرى البعض على الإنترنت حين يدخلون بمعرِّفاتٍ وهميةٍ يتصرفون بفظاظة، غير ما اعتادوا عليه، لأنهم حسب اعتقادهم أصبحوا مجهولين ومحصّنين من أي ملاحقة!

في النهاية حين تحارب الوحش لا تتحول لوحشٍ مثله، مهما كنت ترى أنك تدافع عن قضيةٍ سامية، فالسُلطة والقوة تُفسد حتى لو كانت على مستوى معلّمٍ في مدرسةٍ أو آدمن في مجموعةٍ على الفيسبوك، لا حل إلا التسلح بالعقلانية ومواجهة السُلطات المطلقة بقوانين تحدّ منها وتحاسبها.

دمتم عقلاء متنورين

Gaia Atheist

فريق التحرير
المشارك في هذا العدد

رئيس التحرير
Gaia Athiest

أعضاء هيئة التحرير وبناء المجلة

John Silver

الغراب الحكيم

Alia'a Damascéne

غيث جابري

Ali Alnajafi

أسامة البني (الوراق)

Abdu Alsafrani

Raghed Rustom

Johnny Adams

ليث رواندي

إيهاب فؤاد

ARAB ATHEIST BROADCASTING
قناة الملحدين بالعربي

الفهرس

كلمة تحرير المجلة 2

الفهرس 3

السعادة... جدل الدين والإلحاد 4

د. عبد العزيز القناعي

هدم أسطورة دين العفة جـ 7: محمد - 3 9

Moussa Eightyzz

حصانة المقدس جـ 3 (واقعٌ مقدّس) 32

عباس عبود

غونتر لولينغ واكتشاف محمد 61

نادر قريط

سيرة محمد بن آمنة 71

ترجمة عن منشورات شارلي إيبدو

كاريكاتور 82

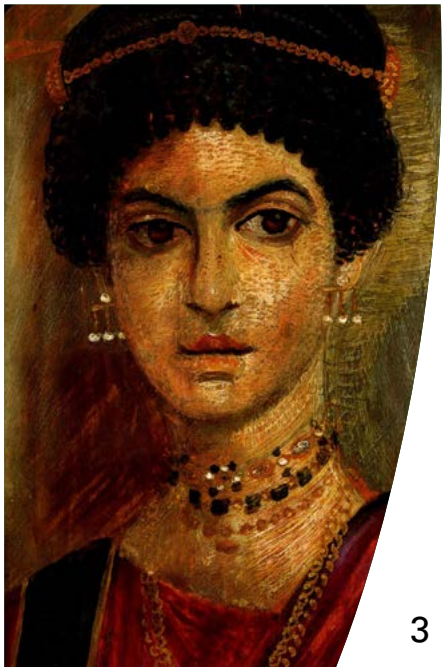

السعادة... جدل الدين والإلحاد

د.عبد العزيز القناعي

ارتبط الدين الإسلاميّ بالأخلاق والفضيلة والإيجابيّة والسعادة لقرونٍ طويلةٍ تكاد تكون منذ بدايات الإسلام، مع «أرحنا بها يا بلال»، كما خاطب النبيّ محمّدٌ بلالًا الحبشيّ لأداء الطقوس الإسلاميّة، إلى عصر اليوم وما يتداوله العامّة وكهنة الدين أنّ الإسلام صالحٌ لكلّ زمانٍ ومكان، وأنه السعادة الأبديّة التي لن تنتهي على هذه الأرض، بل سيكون الإنسان خالدًا مُخلّدًا لا نهاية لاختفائه من الذاكرة والوعي في صورةٍ تراجيديّة تضع الإنسان حيًّا بعد الفناء ليعيش مع من يحبّ من الأقارب والأصدقاء والنساء الجميلات الحسان.

لا ألوم من وضع أو اختلق مثل هذه التصوّرات الروحانيّة الغارقة بالميتافيزيقيّات والماورائيّات، فهكذا كان حال الإنسان البدائيّ في مواجهة معضلة الموت والفناء وتحلُّل الجسد.

وعند اختفاء المعرفة والعلم والوعي سيكون من الصعب على الإنسان أن يتصوّر موته الخاص، لأنّ واقعة موته تفرض عليه أن يتصوّر العالم بدونه، وهذا ما لا سبيل له إلى تصوّره،

ومن هنا فإنه، أي الإنسان، وضع العديد من التفسيرات والمُعتقدات والأفكار التي تريحه بعض الشيء من لعنة مواجهة الموت وتداعيات الانتهاء أو ما يُعرف بالعدم.

رغم أن، وتلك مفارقةٌ لم يدركها الإسلام أو المسلمون، بأن الموت ليس مجرد مفهومٍ مقابلٍ لمفهوم الحياة، بل هو من مقومات الوجود نفسه باعتباره متداخلًا منذ البداية في صميم الوجود البشري كمرحلةٍ وآليةٍ طبيعيةٍ هادئةٍ وساكنةٍ تمارس عملها بشكلٍ متوالٍ ضمن دورة الكون والطبيعة وصراع الكائنات.

إذن هنا يجرنا الموت وعنوان المقال إلى أهمية تعريف السعادة وماهي ولماذا نكون سعداء؟؟؟... حتى نفهم بالتالي وبالضرورة ما جاء في استفهامات وتعجبات البداية بأن الإسلام يصنع السعادة والطمأنينة والحبور الدائم.

وكما أن للموت فلسفةً وفلسفاتٍ وفلاسفةً، فللسعادة أيضًا هذا الجانب الطويل، فمنهم من يراها في الذات الحسية، والبعض يراها في التفكير والوعي العقلي، ومنهم من يجدها في الحس والفكر معًا، وهناك أيضًا من يراها في العدمية والوجودية والبوهيمية... ولكن ما يهمني في عجالةٍ هو معرفة أن السعادة أمرٌ داخليٌّ في الإنسان نظير مروره بعملياتٍ عقليةٍ وفكريةٍ وجسديةٍ تجعله يشعر، هكذا في الوعي، بأن أعضاءه وتفاعلاته وسلوكياته وحتى أخلاقه قد تغيرت،

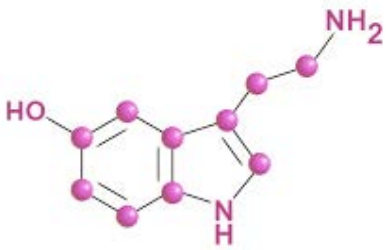

جزيء السيروتونين

وفي الواقع فإن ما تغير وارتفع نتاج تلك العمليات هو السيروتونين (5-هيدروكسي التريبتامين أو اختصارا 5-HT) وهو ناقلٌ عصبيٌّ أحادي الأمين يصنّع في العصبونات السيروتونينية ضمن الجهاز العصبي المركزي وفي الخلايا الكرومافينية الداخلية في الجهاز الهضمي. وتلعب هذه المادة دورًا مهمًا في تنظيم مزاج الإنسان، لذا يسمى أيضًا بهرمون السعادة.

هنا، وأمام حقيقة الموت والسعادة... علينا أن نفنّد لماذا الأديان، وخصوصًا الإسلام، ربط السعادة بالإسلام رغم أنها عمليةٌ كيميائية، والموت بالحياة الأخرى رغم أنها عمليةٌ وجودية ...

لنبدأ مع مصطفى محمود في كتابه "الله والإنسان" حيث قال:
«الأديان سببٌ من أسباب الخلط في معنى السعادة ... لأنها هي التي قالت عن الزنا والخمر لذّات، وحرّمتها، فتحولت هذه المحرمات إلى أهدافٍ يجري وراءها البسطاء والسذّج على أنها سعادة، وهي ليست بسعادةٍ على الإطلاق».

إذن الإسلام خاطب في الإنسان الغريزة وربطها بالمتع الحسية، ولم يكتفي بذلك بل جعلها محرمةً في الدنيا ومحكومةً بأوامر ونواهي ومحرماتٍ لضمان السيطرة على البشر، وليس لهدفٍ آخر، مع اطلاق وعودٍ عديدةٍ بأن ما يرغبون فيه في الحياة على الأرض سيكون متوفرًا في العالم الآخر.

في الحقيقة وحتى نصل إلى رؤيةٍ واقعية. يجب أن نعرف أن المادة أصل كل شيءٍ وكل فكرٍ وكل روح. إنها أزليةٌ لا شيء قبلها ولا كائن آخر أوجدها.

أما ادعاء أن المادة، إن لم تكن هناك روحٌ تحرّكها، ماهي إلا رؤيةٌ افتراضيةٌ مسبقةٌ بإيمانٍ يتنافى مع أصل كل بحثٍ علميٍّ بتجريد الأشياء من صفاتها.

وحتى نكون أوضح في تفسير غلبة الرؤية الدينية على الرؤية العلمية في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، فهذا راجعٌ إلى عدة عوامل، ليس من بينها أبدًا قوة ومتانة الدين الإسلامي، بل قلة أعداد العلماء والفلاسفة وضعف المستوى التعليمي في العالم العربي والإسلامي بشكلٍ عام، واستمرار الجهل والاستبداد السياسي.

كما وأن طبيعة المجتمع العربي والإسلامي عبارةٌ عن مجتمعٍ جمعيٍّ قطيعي، بعكس المجتمعات المتقدمة التى يغلب عليها صفة الانفرادية، فالإنسان المسلم ينتمي ويخاف من مجتمعه، وأي قرارٍ يتخذه، سواءً بأن يكون ملحدًا أو لادينيًا أو حتى علمانيًا يجب أن يراعي فيه مصلحة مجموعةٍ أخرى محيطةٍ به قبل مصلحته أو قناعته الشخصية، بينما الإنسان الغربي لديه القدرة على إعلان الإلحاد أو أي هويةٍ كقرارٍ فردي، بعكس الإنسان المسلم الذي سيصبح معزولًا عن أقرب المقربين إليه إذا أعلن الإلحاد، ويصل إلى إعلان حكم الردة عليه وقتله شرعيًا، وهو ما حدث كثيرًا خلال مسيرة التاريخ الإسلامي من العصر القديم في حروب الردة، إلى عصر اليوم في محاكمات المثقفين العرب.

فهل السعادة هنا، عبارةً عن السمع والطاعة فقط واتّباع تعاليم الأديان.
رغم أن الواقع، واقع المسلمين تحديدًا غارقٌ بعكس ما يدّعونه بأن الإسلام صنع سعادتهم الدائمة.
ولو تركنا الواقع يتحدث لأصبح مقال اليوم عبارةً عن كتابٍ كامل. فأسوأ مؤشرات التنمية والرفاه والتطور من نصيب دولٍ تُحكم بالإسلام، وواقع التحرشات الجنسية وتدني الأخلاق والعلوم والسلوكيات المجتمعية تضج بها مجتمعاتنا التى تمتلئ فيها المساجد ودور تحفيظ القرآن. ناهيك عن أن الإرهاب الإسلامي اليوم لم يخرج إلّا من الإسلام ودعاته وفتاويه.

فهل السعادة الحقيقية أن يعيش الإنسان الطبيعي محاطًا بقيودٍ تمنعه من حريته؟؟
أم أن السعادة هي ما يعيشه الإنسان في وطنٍ يحترم حقوقه وحرياته وإرادته وكرامته...
وهل الدول الغربية وبعض الدول الإسكندنافية التى يكاد يختفي فيها الدين بشكلٍ كاملٍ هي دولٌ تعيسةٌ أم دولٌ يحظى الإنسان فيها بأعلى درجات الرفاه والاحترام والتقديس؟

وبنفس الوقت، وحتى لا يشطح القارئ بعيدًا ويتوقع بأنني أطالب بإلغاء الأديان أو محاربتها أو قتلها في مهدها، فأقول أبدًا ليس هذا ما أنادي به، فهذا الفعل والثقافة هي نتاج تطور علاقات الإنتاج الاقتصادية والسياسية والمجتمعية وارتفاع وتيرة العلم والصناعة والأخلاق، وليس أبدًا نتاج ثورةٍ ثقافيةٍ تقصي معتقدات البشر بشكلٍ فردي.

ولكني أنادي دائمًا باتخاذ خطواتٍ جريئةٍ في نقد الإسلام بنصوصه وتراثه وسلوكه، والبدء بإحداث القطيعة التاريخية مع زمن النبي محمدٍ والخلفاء، ومن تم تأصيل الحاضر والمستقبل في الجذور التاريخية المتغيرة ونبذ اللامعقول والتقليد الديني.

فأزمتنا الشاملة تجلت في مرور تاريخٍ طويلٍ من الهزائم العسكرية والثقافية والفكرية والاقتصادية، غاب عنها الالتزام بالمعارك الهامة للبنية المجتمعية وهي معارك التنوير والديمقراطية وتكوين مؤسسات المجتمع المدني.

ومع كل هذه الإخفاقات لازم العقل العربي بنية الماضي الديني، خائفًا ومذعورًا ومهزوزًا من التطورات الإنسانية، فانكمش في هويةٍ ماضويةٍ خلقت له أزماتٍ بنيويةً نتيجة التمسك بمحدداتٍ غير قابلةٍ للتطور وتتصادم تلقائيًا مع حضارة وعقلانية الفكر البشري.

فالإسلام بشكله الحالي حمل بذور التأخر والتراجع وافتقد لشروط ميلادٍ جديدةٍ ضمن مجال التغييرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وهي نفسها كانت لدولٍ تعيش بنفس الظروف الرجعية، إلا أنها تخلصت من عقدة الدِين الحاكم ونبذت التفرقة والمحاسبة على أساس العرق والدين واللغة.

إن الشعوب المغيبة دينيًا بأفكارٍ ماضويةٍ تعيسةٍ هي الشعوب التي تغيب عن الفعل والحضارة والأخلاق وبالتالي تخسر رهان السعادة وتبقى في غيابٍ وشللٍ تام، وهي غالبًا الشعوب والمجتمعات المتدينة والتى تحمل معتقداتٍ إيمانيةٍ غيبية، بينما الشعوب التي تنظر إلى الحياة، هي الشعوب التي اختارت العلم والعقل مسارًا وفضاءً معرفيًا يتيح لها التطور والبقاء ضمن صيرورة التاريخ الإنساني العظيم بما يحمله من إبداعٍ وإنسانيةٍ وحضارةٍ وسعادة، وهي غالبًا الشعوب والمجتمعات العلمانية والإلحادية.

مجلة توثيقية علمية إلحادية

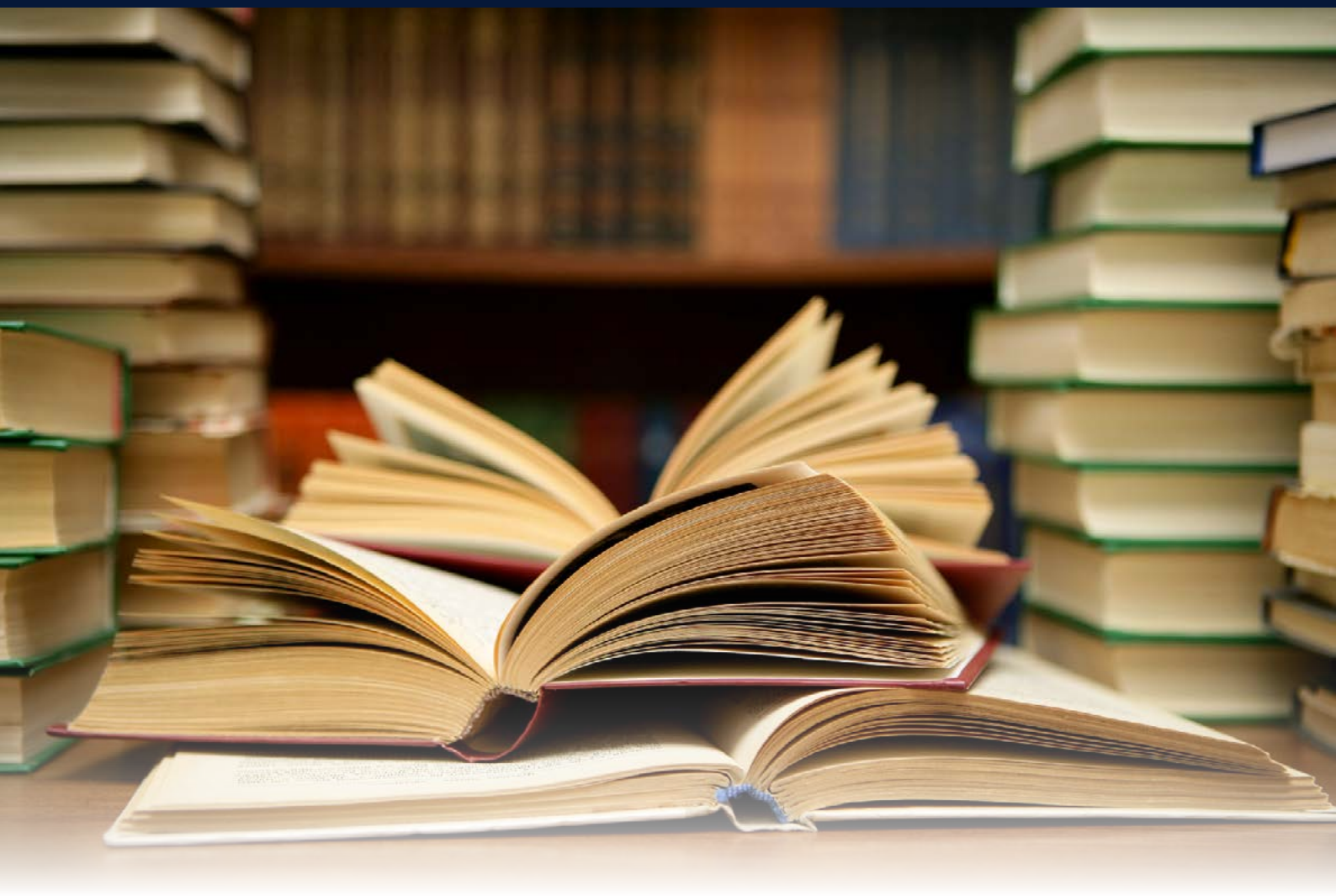

شاركنا موضوعاتك و كتاباتك لتصل للقراء

هدفنا توثيق الكتابات و التوعية و نشر الفكر المتحضر

موضوعاتنا علمية ، دينية ، ثقافية

مجلة الملحدين العرب

معاً نحو مستقبل منير

http://arabatheistbroadcasting.com/aamagazine

https://www.aamagazine.blogspot.com

https://www.facebook.com/pages/AAMagazine/498136386890299

https://issuu.com/928738

هدم أسطورة دين العفّة جـ 7
محمد - 3

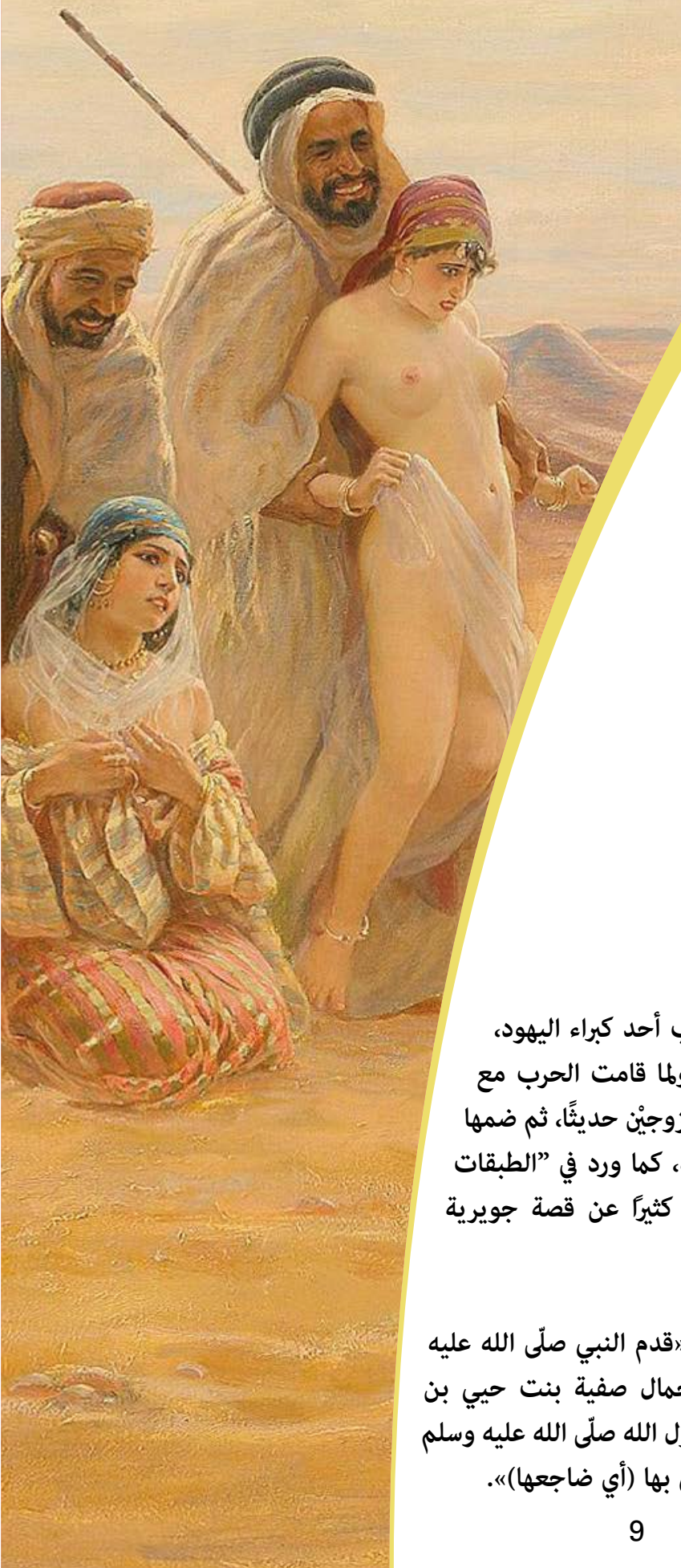

Moussa Eightyzz

مأساة صفية

صفية بنت حيي بن أخطب هي ابنة حيي بن أخطب أحد كبراء اليهود، وكانت فتاةً متزوجةً وتعيش بين الجالية اليهودية، ولما قامت الحرب مع المسلمين تم قتل أقاربها وقومها وزوجها أيضًا وكانا متزوجيْن حديثًا، ثم ضمها محمدٌ إلى نسائه، ولم تكن قد بلغت سبع عشرة سنةً، كما ورد في "الطبقات الكبرى" لابن سعد. وللأمر قصةٌ دراميةٌ لا تختلف كثيراً عن قصة جويرية وريحانة، سوى أنها أكثر دمويةً وبشاعةً.

من "صحيح البخاري"، 2235، نقرأ ملخصًا للواقعة: «قدم النبي صلّى الله عليه وسلم خيبر، فلما فتح الله عليه الحصن، ذُكِر له جمال صفية بنت حيي بن أخطب، وقد قُتِل زوجها وكانت عروسًا فاصطفاها رسول الله صلّى الله عليه وسلم لنفسه، فخرج بها حتى بلغنا سد الروحاء حلت، فبنى بها (أي ضاجعها)».

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 3

وفي "صحيح مسلم"، 1365، نجد أن صفية في البداية كانت من نصيب صحابيٍّ آخر، دحية الكلبي، لكن حين علم محمدٌ أنها ابنة كبير القوم طلب أن يحضروها إليه، وحين رأى جمالها أخذها لنفسه وأمر دحية بأن يأخذ فتاةً أخرى من السبي غيرها.

وبعد أن تحدثَت الرواية عن هزيمة خيبر نقرأ «... وأصبناها عنوةً. وجُمع السبي. فجاءه دحية فقال: يا رسول الله، أعطني جاريةً من السبي. فقال "اذهب فخذ جاريةً" فأخذ صفية بنت حيي. فجاء رجلٌ إلى نبي الله صلّى الله عليه وسلم فقال: يا نبي الله! أعطيتَ دحية، صفية بنت حيي، سيد قريظة والنضير؟ ما تصلح إلا لك.
قال "ادعوه بها" قال: فجاء بها. فلما نظر إليها النبي صلّى الله عليه وسلم قال "خذ جاريةً من السبي غيرها" .

يلي ذلك أنه طلب من الصحابة أن يُحضر كلٌ منهم ما عنده من طعامٍ، وأقام وليمةً، فنقرأ «... حتى إذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم. فأهدتها له من الليل. فأصبح النبي صلّى الله عليه وسلم عروسًا. فقال "من كان عنده شيءٌ فليجيء به". قال: وبسط نطعًا. قال: فجعل الرجل يجيء بالأقط. وجعل الرجل يجيء بالتمر. وجعل الرجل يجيء بالسمن. فحاسوا حيسًا. فكانت وليمة رسول الله صلّى الله عليه وسلم».

وتخبرنا الروايات أيضًا أن النبي أعتق صفية وتزوجها، معتبرًا أن عتقها هو ذاته مهرها. الله أكبر.
وفي مصادر أخرى، مثل "صحيح ابن ماجه"، 1857، و "المسند الجامع" ، 4/251، وغيرهما نقرأ أن النبي قد "اشترى صفية من صاحبها الأول دحية بسبعة رؤوس" والمقصود بالرؤوس هنا أي سبعة كائناتٍ بشرية، وليس مواشي، وإن كانت النظرة الإسلامية لا تفرق كثيرًا بين هذا وذاك.

وحتى نتفهم شيئًا من الحالة النفسية التي كانت عليها الفتاة الصغيرة ساعة اغتصابها، نعود إلى ما ذكرته المصادر الإسلامية عن قصة قيام نبي الرحمة بتعذيب زوجها، كنانة ابن الربيع، لكي يدلّه على مكان أمواله، حيث أمر الزبير قائلًا "عذّبه حتى تستأصل ما عنده" ، فعذبه بالنار حتى دلّه على مكان المال، ثم أمر النبي بقتله. ونجد الراوية في "سيرة ابن هشام"، باب ذكر المسير إلى خيبر، وفي "البداية والنهاية" لابن كثير، الجزء الرابع، سنة سبعٍ من الهجرة، غزوة خيبر، ذكر قصة صفية بنت حيي النضرية.

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 3

ليس هذا فقط، بل المعلوم أن أبا صفية، وإخوتها، وأعمامها، قد قُتِلوا أيضًا في تلك الحرب، قبل زوجها.

وفي "تاريخ الطبري" غزوة خيبر، 720، نجد كيف أن أحد الصحابة، بلال ابن رباح، قد أخذ صفية وفتاةً أخرى، وأخذ يمُر بهما على جثث القتلى مما جعل الفتاتين تنهاران ولا شك، وبعد ذلك رآهما النبي فأمر بإبعاد الأخرى بعد أن وصفها بالشيطانة (لأنها بكت على أهلها القتلى!)،

وأخذ صفية لنفسه. نقرأ: «وَلَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقَمُوصَ حِصْنَ ابْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ، أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ بِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ، وَبِأُخْرَى مَعَهَا، فَمَرَّ بِهِمَا بِلالٌ وَهُوَ الَّذِي جَاءَ بِهِمَا عَلَى قَتْلَى مِنْ قَتْلَى يَهُودَ، فَلَمَّا رَأَتْهُمُ الَّتِي مَعَ صَفِيَّةَ صَاحَتْ وَصَكَّتْ وَجْهَهَا، وَحَثَتِ التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهَا، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: "أَغْرِبُوا عَنِّي هَذِهِ الشَّيْطَانَةَ"، وَأَمَرَ بِصَفِيَّةَ، فَحِيزَتْ خَلْفَهُ، وَأَلْقَى عَلَيْهَا رِدَاؤُهُ، فَعَرَفَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِ اصْطَفَاهَا لِنَفْسِهِ».

هذا القتل لأقارب صفية هو ما دفع أحد الصحابة المخلصين لأن يبيت قريبًا من خيمة رسول الله، لكي يحرسه من تلك المرأة وهو يقوم باغتصابها، حيث نقرأ القصة في "المغازي" للواقدي، باب غزوة خيبر، انصراف رسول الله من خيبر إلى المدينة، يقول: «وأولم رسول الله صلّى الله عليه وسلم يومئذ عليها بالحيس»، «قالوا: وبات أبو أيوب الأنصاري قريبًا من قُبته آخذًا بقائم السيف حتى أصبح، فلما خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلم بكرةً، فكبّر أبو أيوب. فقال ما لك يا أبا أيوب؟ فقال يا رسول الله دخلتُ بهذه الجارية (أي صفية) وكنت قد قتلتُ أباها وإخوتها وعمومتها وزوجها وعامة عشيرتها، فخفت أن تغتالك. فضحك رسول الله صلّى الله عليه وسلم وقال له معروفًا»؛ وفي روايةٍ أنه قال «اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني».

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 3

ونفس القصة نجدها في "السيرة النبوية" لابن هشام، ذكر المسير إلى خيبر في المحرم سنة سبعٍ، بناء الرسول بصفية وحراسة أبي أيوب للقبة، و "تاريخ ابن عساكر"، وعن "منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال" للشيخ علي متقي الهندي، باب أم المؤمنين صفية بنت حيي.

فياله من عرسٍ راقٍ و(رومانسي) جدًّا، ذلك الذي يحتاج فيه العريس إلى حارسٍ شخصيٍّ مسلحٍ، يحميه من عروسته التي قام منذ قليلٍ بذبح زوجها السابق وجميع أقاربها!

ومن المضحك المبكي أن بعضًا من المصادر الإسلامية استشعرت الحرج من قصص اغتصاب محمدٍ للأسيرات، فأضافت رواياتٍ تُصَوِّر الجواري يقبلْنَ ذلك الوضع، وكان ذلك أحيانًا يُحكى بشكلٍ مُبالَغٍ فيه، فصفية مثلًا جعلوها تشاهد محمدًا بعد المعركة فتنسى أباها وزوجها وإخوتها وتقع فورًا في غرام ذلك الرجل الذي قتلهم، ويُفترض في القارئ العاقل أن يصدّق ذلك!

وفي موقع "إسلام ويب"، مركز الفتوى، الفتوى رقم 100065، نقرأ ردًّا على "شبهة" اغتصاب محمدٍ لصفية، حيث يقول المفتي في النهاية: «ولا شيء في هذا الأمر، لأن من خصوصيات الرسول صلّى الله عليه وسلم أن له صفي المغنم، كما هو معروفٌ في كتب الفقه». نعم إنها خصوصيةٌ أخرى من خصائص النبي! كيف فاتنا ذلك؟!
بالطبع، فالفاعل هو ذاته مرجعية الحق والباطل، فكيف يمكن إدانته في أي شيءٍ يفعله، بينما هو الخصم والحكم ومندوب الإله على الأرض؟!

ومن اللمحات المضحكة المبكية التي تصادفنا في سيرة بيت النبوة، هي ما نجده في "الطبقات الكبرى" ، باب عائشة بنت أبي بكر الصديق، حيث سمح محمدٌ لعائشة بأن تسبّ أبا صفية، وغضب بشدةٍ حين حدث العكس، حيث نقرأ: «قالت عائشة كنت استبّ أنا وصفية فسببْتُ أباها فسَبّتْ أبي وسمعها النبي فقال: يا صفية أتسبين أبا بكر؟! يا صفية أتسبين أبا بكر؟!»
الأمر الذي يعطينا نبذةً أخرى عن أخلاقيات زوجات النبي اللاتي كُن يتبادلْنَ (الردح) والسباب في بيت النبوة، كما يعطينا نبذةً عن العدل النبوي، الذي يرضى بسب فتاةٍ مكلومةٍ في والدها المقتول على أيدي أتباع الرسول نفسه، ويمنعها من رد الهجوم بالمثل.

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 3

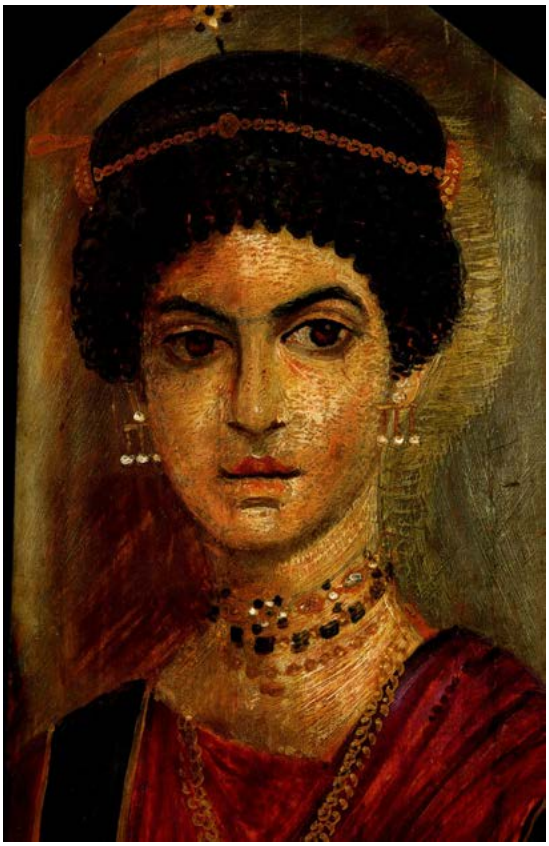

مارية

المعروفة بمارية القبطية، وهي لم يأسرها محمدٌ في إحدى الغزوات، وإنما أرسلها له المقوقس المصري كهديةٍ حسب المصادر الإسلامية، حيث نقرأ في "الطبقات الكبرى" لابن سعد، باب ذكر مارية أم إبراهيم ابن رسول الله: «بعث المقوقس صاحب الإسكندرية إلى النبي في سنة سبعةٍ للهجرة بمارية وأختها سيرين وألف مثقال ذهب».

وفي نفس المصدر نقرأ: «كانت مارية جميلةً جعدةً وكان النبي معجبًا بها وكانت بيضاء جميلةً، وضرب عليها الحجاب وكان يطأها بملك اليمين».

فالغريب أن مارية كانت جاريةً، لكن محمدًا قرر فرض الحجاب عليها، مما جعل المسلمين يختلفون حول ما إذا كان تزوجها أم لا، ولعله لم يفعل بل اعتبرها جاريةً، أما فرضه للحجاب عليها فالأرجح أنه كان من باب الغيرة.

وعلى الجانب الآخر كانت عائشة تغار بشدةٍ من مارية، على حد قولها بسبب جمالها وبسبب إفراط محمدٍ في ممارسة الجنس معها! حيث نقرأ تصريحاتها الصريحة في " الإصابة في أخبار الصحابة" لابن حجر العسقلاني، باب مارية:

«عن عائشة قالت: ما غِرتُ على امرأةٍ إلا دون ما غِرتُ على مارية، ذلك أنها كانت جميلةً جعدةً وأُعجب بها النبي، وكان عامة النهار والليل عندها حتى عني أو عناها، فجزعت فحوّلها إلى العالية فكان يختلف (أي يذهب) إليها هناك،»

ومعنى كلمة "عني النبي" أي أصابه الإنهاك والعجز الجنسي من كثرة الممارسة، و"عناها" أي أصيبت هي (مارية) بالإنهاك الجنسي، وهي الألفاظ الفجة والصريحة التي وردت على لسان عائشة، والتي استحَت كاتبةٌ إسلاميةٌ كبيرةٌ هي "بنت الشاطئ" من وضعها هكذا في كتابها الشهير "نساء النبي" فاكتفت بوضع مكانها نقاطًا فارغةً!

هدم أسطورة دين العفّة
جـ 7: محمد - 3

حفصة تمسك برسول الله متلبسًا

من بداية سورة التحريم (1-5) نجد الله يخاطب نبيه قائلًا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ۞ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ۞ عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾.

الآيات ليست واضحةً تمامًا، فنجد فيها لومًا لمحمدٍ على أنه يحرم على نفسه شيئًا أحلّه الله له في محاولةٍ منه ليرضي زوجاته، ونجد إشارةً لكيفية تحلل المسلم من يمينه الذي أقسم عليه، كما نجد قصةً مبهمةً عن سر ما أخبر به محمدٌ بعض زوجاته، فأفشينه، ثم يقوم الله بعتاب زوجتين قامتا بالتعاون معًا ضد محمد، ويطالبهما بالتوبة وإلا فسوف يرزقه الله أزواجًا أفضل من أزواجه الحاليات. فما المقصود هنا؟

في التفاسير نجد أسباب نزول تلك الآيات، ومفادها أن حفصة دخلت بيتها فوجدت محمدًا مع مارية على فراشها، فطلب منها النبي ألّا تخبر أحدًا بذلك الأمر، وعلى الأخص عائشة، ولكي يمتصّ غضب حفصة وعدها النبي بأن مارية ستكون حرامًا عليه أي أنه لن يمارس معها الجنس مرةً أخرى، وإذا بالقرآن -كالمعتاد- يتظاهر بالنزول للوم النبي، إلا أنه في الحقيقة يضبط الأوضاع لصالحه ويزيل عنه الحرج، حيث يأمره بأن يكفّر عن اليمين ويعود لمضاجعة جاريته!

من تفسير الطبري للآية نسمع القصة: «أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم أصاب أمَّ إبراهيم في بيت بعض نسائه قال: فقالت: أي رسول الله في بيتي وعلى فراشي؟ فجعلها عليه حرامًا فقالت: يا رسول الله كيف تحرّم عليك الحلال؟ فحلف لها بالله لا يصيبها، فأنزل الله عزّ وجلّ: "يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أزْوَاجِكَ" قال زيدٌ: فقوله أنت عليّ حرامٌ لغو».

الحوار المتمدن

الموقع الرئيسي لمؤسسة الحوار المتمدن
يسارية، علمانية، ديمقراطية
"من أجل مجتمع مدني علماني ديمقراطي حديث يضمن الحرية العدالة الاجتماعية للجميع"

http://www.ahewar.org

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 3

وفي روايةٍ أخرى لنفس الواقعة: «كانت لرسول الله صلّى الله عليه وسلم فتاة، فغشيها، فبصُرت به حفصة، وكان اليوم يومَ عائشة، وكانتا متظاهرتين، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "اكْتُمي عَليَّ وَلا تَذْكُرِي لِعائِشَةَ ما رأيْتِ" فذكرت حفصة لعائشة، فغضبت عائشة. فلم تزل بنبيّ الله صلّى الله عليه وسلم حتى حلف ألّا يقربها أبدًا، فأنزل الله هذه الآية، وأمرَه أن يكفّر يمينه، ويأتي جاريته».

وفي روايةٍ ثالثةٍ ينقلها الطبري أيضًا: «كانت حفصة وعائشة متحابتين وكانتا زوجتي النبيّ صلّى الله عليه وسلم، فذهبت حفصة إلى أبيها، فتحدثَت عنده، فأرسل النبيّ صلّى الله عليه وسلم إلى جاريته، فظلت معه في بيت حفصة، وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشة، فرجعت حفصة، فوجدتهما في بيتها، فجعلت تنتظر خروجها، وغارت غيرةً شديدةً، فأخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلم جاريته، ودخلت حفصة فقالت: قد رأيت من كان عندك، والله لقد سُئْتَنِي، فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلم: "واللَّهِ لأُرْضِيَنَّكِ فإنِّي مُسِرّ إلَيْكِ سِرًا فاحْفَظِيهِ" قالت: ما هو؟ قال: "إنِّي أُشْهِدُكِ أنَّ سُرِّيَّتِي هَذِهِ عَليَّ حَرَامٌ رِضًا لكِ". وكانت حفصة وعائشة تظاهران على نساء النبيّ صلّى الله عليه وسلم، فانطلقت حفصة إلى عائشة، فأسرّت إليها أن أبشري إن النبيّ صلّى الله عليه وسلم قد حرّم عليه فتاته، فلما أخبرت بسرّ النبيّ صلّى الله عليه وسلم أظهر الله عزّ وجلّ النبيّ صلّى الله عليه وسلم، فأنزل الله على رسوله لما تظاهرتا عليه "يا أيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أزْوَاجِكَ" »

مثل تلك الروايات نجدها في مختلف التفاسير الأخرى كالقرطبي وابن كثيرٍ وغيرهما، كما نجدها في مصادر إسلاميةٍ عديدةٍ مثل "الطبقات الكبرى" لابن سعد، باب ذكر المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله وتخييره نساءه و"المعجم الأوسط" للطبراني، 3/13 و8/323، و "مجمع الزوائد" للهيثمي، 5/11 و7/129، و "التلخيص الحبير" لابن حجر العسقلاني، 4/1248، و "فتح القدير" للشوكاني، 3/358.

وعلى الجانب الآخر نجد رواياتٍ أخرى تحكي سبب نزولٍ مختلِفٍ للقصة، مفاده أن ما حرمه محمدٌ على نفسه هو العسل، حيث أكله مرةً عند حفصة، فغارت عائشة وذهبت لزوجاته الأخريات تقول لهُنّ إذا دخل عليكنّ محمدٌ فأخبروه أن رائحة فمه سيئةٌ بسبب ذلك العسل، وفعلت عائشة نفسها ذلك، فاضطرب محمدٌ وحرّم على نفسه العسل، فنزل القرآن يطلب من محمدٍ ألّا يحرّم على نفسه العسل ويكفّر عن يمينه.

ولكن هناك عدة أمورٍ تجعل تلك الرواية غير منطقيةٍ بالمرة، وترجح عليها الرواية الأولى الخاصة بمارية:

من ذلك أن تحريم العسل هو أمرٌ لا يستحق اللوم خاصةً إن كان السبب هو الرائحة السيئة، حيث نجد في مصادر أخرى أن محمدًا لم يكن

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 3

يأكل البصل والثوم لنفس السبب، ولم يلُمْه القرآن على ذلك! ومنها أن تحريم العسل هو أمرٌ بسيطٌ لا يستحق أن يكون سرًّا يطلب محمدٌ من حفصة أن تخفيه؛ ومنها أن الآية الواردة تخاطب زوجتين فقط (بصيغة المثنى)، وهو ما لا يتوافق مع الرواية الثانية التي تتحدث عن تآمر عدة زوجاتٍ وإنما يتوافق مع الرواية الأولى حيث تآمرَتْ حفصة وعائشة فقط. وما يؤكد الاحتمال الأخير أيضًا هو ما ورد في مواضع أخرى من أن حفصة وعائشة كانتا حليفتين كما ورد في الرواية الأولى ولم تكونا خصمتين كما ورد في الرواية الثانية.

وأخيرًا فهناك رواياتٌ أخرى على لسان عمر بن الخطاب تجعل المتهمة الأولى في المسألة هي حفصة، كما ورد في "صحيح البخاري"، 2468 و4913 و5191، و "صحيح مسلم" ، 1479، وغيرهما، وهو ما يتفق أيضًا مع رواية مارية لا رواية العسل.

والطريف أنه حين غضبَت زوجات محمدٍ عليه، ونزل القرآن يعاتبهُنّ، قرر محمدٌ أن يعتزلهُنّ لمدة شهر، بقي فيه مع محبوبته الجديدة مارية، وهكذا يندم محمدٌ على تحريم جاريته فيقوم بإلغائه ثم يحرم زوجاته جميعًا عليه! وهكذا يتعاون الله وجبريل دائمًا لضمان تحقيق مزاج رسول الله على أكمل وجه.

ابن مارية

يبدو أن من أهم مشاكل محمدٍ أنه لم يكن له ولدٌ وريث، ولكن أخيرًا وبعد طول انتظارٍ حملت مارية القبطية. وفور أن حدث الإنجاب أبعدوا الطفل عن أمه، لكي تتفرغ لمحمد! فنقرأ في "الطبقات الكبرى"، باب ذكر مارية أم إبراهيم بن رسول الله: «وتنافست الأنصار في إبراهيم (أي في رضاعته ورعايته) وأحبوا أن يفرغوا مارية للنبي لما يعلموا من هواه فيها».

ثم إن الشائعات أخذت تتردّد في جنبات المدينة قائلةً إن الطفل ليس ابنًا لمحمدٍ بل ابنًا لشخصٍ آخر قبطيٍّ كان يدخل على مارية في بيتها، مما جعل بعض أهل المدينة يقولون (علجٌ يأوي إلى علجة)، كما ورد في "مجمع الزوائد" للهيثمي، 9/161. والعلج لغةً هو الحمار الوحشي، وهو مصطلحٌ عربيٌّ يطلق على غير العرب الكفار بقصد التحقير منهم.

وحين حمل محمدٌ الولد وذهب إلى عائشة أخبرته بأنه: "لا يشبهك"! ("المستدرك" للنيسابوري، 4/39).

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 3

ويبدو أن عائشة أرادت أيضًا زرع الشك في قلبه، ففي "الطبقات الكبرى"، باب ذكر إبراهيم ابن رسول الله نقرأ نفس الكلام «... وحدّثت أم المؤمنين وقالت: لما وُلِد إبراهيم جاء به رسول الله إليَّ فقال انظري إلى شبهه بي فقلت ما أرى شبهًا، فقال رسول الله: ألا ترين إلي بياضه ولحمه؟ قالت من سُقي ألبان الضأن ابيضَّ وسَمن».

ودفعت الغيرة النبي إلى أن أمَرَ عليًّا بن أبي طالب بقتل الرجل الذي تُتهَم مارية معه، وتخبرنا الرواية أن عليًّا لم يتركه إلا حين اكتشف أنه ليس له عضوٌ ذكريٌّ! كما نقرأ القصة في "صحيح مسلم"، 2771: «أنَّ رجلًا كان يُتَّهم بأمِّ ولدِ رسولِ اللهِ صلّ اللهُ عليه وسلَّمَ. فقال رسولُ اللهِ صلّ اللهُ عليه وسلَّمَ لعليٍّ: اذهبْ فأضربْ عُنُقَه. فأتاه عليٌّ فإذا هو في ركي يتبرَّدُ فيها. فقال له عليٌّ: اخرجْ. فناوله يدَه فأخرجه. فإذا هو مجبوبٌ ليس له ذَكرٌ. فكفَّ عليٌّ عنه».

وفي "تاريخ الطبري"، ذكر موالي رسول الله، كما في "الطبقات الكبرى"، ذكر مارية أم إبراهيم، نقرأ تلخيصًا للقصة: «كان قبطيٌّ يأوي إلى مارية يأتيها بالماء والحطب فقال الناس علجٌ يدخل على علجة، فبلغ ذلك النبي فأرسل عليٌّ ابن أبي طالب ليقتله، فلما ذهب عليٌّ بن أبي طالب وجد الرجل مجبوبًا (مخصيًّا أو بدون عضو) فخرج عليٌّ ولم يقتله».

ولك أن تسأل عشرات التساؤلات المنطقية والأخلاقية حول ما فعله محمد، من قبيل لماذا تسرع في الحكم، ولم يحاول التمهُّل والتأكُّد من التهمة (كما فعل في حالة اتهام عائشة)؟ وأين شرط الشهود الأربعة الذين يرَون المرود في المكحلة؟ وماذا لو لم يكن الرجل قد تعرّى بالصدفة أمام عليٍّ؟ ثم، هل كان الرجل بدون عضوٍ حقًّا، أم أن القصة مختلقةٌ بهدف نفي الشبهات عن محمدٍ وأسرته وابنه، أو ربما اختلقها عليٌّ الذي نستشف من مصادر أخرى أنه كان يكره عائشة وربما أراد تخييب ظنها؟

كل تلك الأسئلة لا تهمنا كثيرًا هنا، ولكن المهم أن القصة في مجملها تعطينا لمحةً أخرى عن أخلاقيات أهل المدينة وسوء ظنهم، بمن فيهم زوجة النبي التي تدفعها الغيرة إلى تعريض حياة امرأةٍ أخرى للخطر لو تمّت إدانتها بالزنا.

أمّا بخصوص تصرُّف محمدٍ نفسه بشكلٍ خارجٍ عن شريعته فقد اعتدنا منه ذلك الكيل بمكيالين، فالرجل دائمًا لا يطبق على نفسه وأسرته ما يطالب الناس بتطبيقه على أنفسهم وأُسرهم.

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 3

وفي روايةٍ أخرى يحرص النبي، أو واضع الحديث، على تبرئة بيت النبوة من أي شبهة، فنقرأ في "منتخب كنز العمال" للشيخ متقي الهندي: «قال النبي ألا أخبركم أن جبريل أتاني فأخبرني أن الله عز وجل قد برّأ مارية وقريبها مما وقع في نفسي وبشرني أن في بطنها غلامًا مني وأنه أشبه الخلق بي». وهكذا فالتهمة تمت إزالتها بحكم جبريل بنفسه!

والجدير بالذكر أن هذه ليست التهمة الوحيدة التي تمسُّ نساء محمد، وليست المرة الوحيدة التي يشك النبي فيهِنّ.

عائشة وصفوان

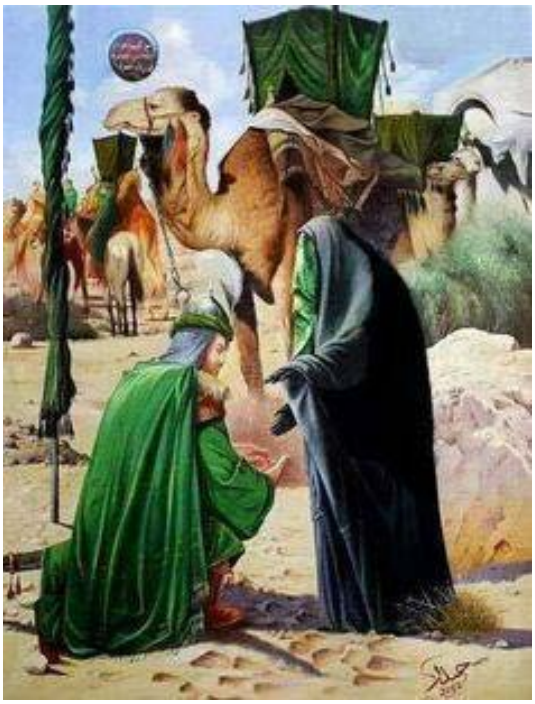

مررنا سابقًا بتحذير القرآن الشديد، في الأحزاب 32، والموجّه لنساء النبي، بأنهُنَّ لو اتجهْنَ إلى أي نوعٍ من الانحراف فسينالهُنَّ عذابٌ مضاعفٌ في الآخرة، تلى ذلك أمرٌ لهنّ بأن يلتزمْنَ المنزل ويكلمْنَ الناس من وراء حجابٍ وعدم الخضوع بالصوت وطاعة الرسول، بعد أن كُنّ يسِرْنَ مكشوفاتٍ متبرجاتٍ بين الجميع ويُظهِرن زينتهُنّ، ويجلسْن ويتحدثْنَ ويأكلْنَ مع الرجال، كما كان يدخل عليهِنّ البر والفاجر كما جاء في الروايات.

ومررنا قبل ذلك بانتشار الانحلال والفواحش والخيانات الزوجية وسوء الخلق عمومًا بين العرب، قبل الإسلام وبعده، والذي رأيناه في قضايا المُلاعنة ومعضلة المغيبات وبغاء الجواري ونكاح المتعة وغيره، حتى رأينا عائشة نفسها تُزيِّن جاريةً وتخرج بها إلى الطرقات لكي "تصطاد بها الشباب" على حدّ قولها.

ووسط هذا الجو الموبوء، لم يكن مستغربًا أن يتناول جماعةٌ من أهل المدينة عائشة بالكلام، كما تناولوا مارية، حقًّا أو باطلًا لا ندري، فقالوا بأنها خانت محمدًا مع صفوان بن المعطل، بل لم يكن مستغربًا أن يشُكَّ محمدٌ أيضًا في زوجته، بل وحتى أبيها نفسه اتهمها بشكلٍ صريحٍ كما سنرى.

القصة نجدها بالتفصيل في تفاسير سورة النور، الآية 11، كما نجدها في أكثر المصادر الإسلامية ككتب الحديث والفقه والتاريخ، وملخصها أن المسلمين خرجوا في إحدى الغزوات وأخذ محمدٌ معه عائشة، ومع نهاية الغزوة واستعداد المسلمين للانصراف والعودة إلى المدينة مرةً أخرى، بعدت عائشة عن الركب وضاع منها عقدها، حسب روايتها هي، فذهبَت تبحث عنه، وحين وجدَته عادَت إلى المكان لتجد أن الجيش قد تركها وانصرف حيث رفعوا هودجها (الخيمة الموضوعة على ظهر الجمل) ولم يشعروا بغيابها لأن وزنها كان خفيفًا؛ فلما لم تجد أحدًا ظلت مكانها حتى وجدَت صفوان بن المعطل سائرًا، فأخذها وعاد بها إلى المدينة، وحين رآهما بعض أهل المدينة بدأت الشائعات تنتشر. فمن

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 3

تفسير القرطبي للآية مثلًا أنهم قالوا حينها «والله ما نجَت منه، ولا نجا منها»، كما قالوا «امرأة نبيكم باتت مع رجل». وفي "صحيح البخاري"، 4141: «أن عائشة قالت بأن أهل المدينة استمروا نحو شهرٍ يتناولونها باللمز والاتهام وهي مريضةٌ فاشتكيت شهرًا، والناس يُفِيضُون في قول أهل الإفك»، وهذا التعبير "الإفاضة في الحديث" أي الاسترسال والخوض هو نفس التعبير الذي استخدمه القرآن (النور 14) مما يؤكد انتشار التهمة وذيوعها، وهو الأمر الذي يدل على سوء ظن كثيرٍ من أهل المدينة بعائشة أو بنسائهن عمومًا. هذا وقد شارك في اتهام عائشة العديد من الصحابة، منهم من يسمى "رأس المنافقين" عبد الله بن سلول، ومنهم شاعر الرسول حسان بن ثابت، وقريبٌ لأبي بكر اسمه مسطح، وحمنة أخت زينب بنت جحش زوجة محمد.

وتحكي عائشة، في نفس المصدر، أن النبي نفسه لم يكن واثقًا من براءتها، حيث قال لها «... يا عائشةُ، إنه بلَغَني عنك كذا وكذا، فإن كنتِ بريئةً، فسُيُبَرِّئُك اللهُ، وإن كنتِ أَلْمَمْتِ بذنبٍ، فاستغفري اللهَ وتوبي إليه، فإن العبدَ إذا اعتَرَفَ ثم تابَ، تابَ اللهُ عليه».

وحين استغاثَت بأبيها وأمها لم يدافعا عنها بكلمة «... قالت عائشة: فلما قضى رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلم مقالتَه قَلُصَ دمعي حتى ما أُحِسُّ منه قطرةً، فقلتُ لأبي: أَجِبْ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم عني فيما قال، فقال أبي: والله ما أدري ما أقولُ لرسولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلم، فقلت لأمي: أجيبي رسولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلم فيما قال، قالت أمي: واللهِ ما أدري ما أقولُ لرسولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلم».

وفي روايةٍ أخرى، في "مجمع الزوائد"، الجزء التاسع، 15295، نقرأ أن محمدًا قال لها عبارةً واحدةً فقط: «يا عائشة، إن الله قد وسع التوبة» مما يؤكد أنه كان يميل لكونها مذنبةً. أما أبو بكر فيبدو أنه كان متيقنًا من كونها زانيةً، إذ دخل عليهما وخاطب محمدًا قائلًا «... يا رسول الله، ما تنظرَنَّ بهذه التي قد خانتك وفضحتني؟»، وهي كلماتٌ شديدة القسوة تؤكد ظنه فيها. وقد ذهب محمدٌ إلى عليٍّ ابن أبي طالب يسأله عن رأيه في عائشة، فأجابه: "قد وسع الله النساء"، واستمر محمدٌ يسأل خادمتها عنها وعن سلوكها.

ثم في النهاية جاء القرآن مبرِّئًا زوجة النبي بعد انتظارٍ إلهيٍّ طويلٍ لما يقرب من شهر! ولنا أن نتساءل عن علاقة تلك المدة بمجيء الدورة الشهرية لعائشة، مما أكد أنها ليست حاملًا.

وبغض النظر عما حدث -أو لم يحدث- بين عائشة وصفوان، إلا أن دواعي الشك قائمة، على الأقل في ذهنية محمدٍ الذي نهى عن خلوة الرجل بامرأةٍ تحت أي ظروف، لأن الشيطان يكون ثالثهما. ونقرأ بعض تلك الأحاديث في موقع "إسلام ويب"، مركز الفتوى، الفتوى رقم 60438، حيث يقول المفتي

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 3

«... الخلوة المحرمة هي أن ينفرد رجلٌ بامرأةٍ أجنبيةٍ عنه لا يكون معهما ثالثٌ بحيث يحتجبان عن الأنظار، وقد جاءت الأحاديث النبوية الصحيحة الصريحة، بالتحذير من ذلك، ومن ذلك ما في الصحيحين عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال: "لا يخلوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا مع ذي محرم". وقال صلّى الله عليه وسلم: "ألا لا يخلوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا كان ثالثهما الشيطان"، رواه أحمد والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما. وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلّى الله عليه وسلم قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلوَنَّ بامرأةٍ ليس بينها وبينه محرم"». وهذا ما فعله صفوان مع عائشة تمامًا، فلماذا يفترض بنا أن نصدق أن في خلوتهما لم يكن ثالثهما الشيطان؟

ثم في مصادر أخرى نجد اعترافًا آخر، من صفوان بن المعطل نفسه، بأنه لا يستطيع الصبر عن الجنس، كما ورد في "تهذيب تاريخ دمشق الكبير" للحافظ بن عساكر، حيث نقرأ: «عن أبي سعيدٍ قال: جاءت امرأةٌ إلى النبي، فقالت: يا رسول الله إن زوجي صفوان يضربني إذا صليْتُ ويفطرني إذا صمْتُ ولا يصلي صلاة الفجر حتى تطلع الشمس. قال وصفوان عنده فسأله، فقال صفوان: أما قولها يفطرني إذا صمت فإنها تصوم وأنا رجلٌ شابٌّ فلا أصبر (عن النساء) فقال صلّى الله عليه وسلم: لا تصوم امرأةٌ إلا بإذن زوجها».

على الجانب الآخر، وبشكلٍ عام، ففي سيرة عائشة ما يثير العديد من الشكوك في سلوكها، إذا ما تعاملنا معه دون هالةٍ من التقديس لزوجة رسول الله، كما سنرى.

عائشة والأخبار الجنسية

سمعنا أحاديث ترويها عائشة لا تخلو من فُحشٍ صريح، منها حديثها المفصل -وهي تضحك- عن تقبيل النبي لها ومصّه للسانها، ومنها مباشرته لها وهي حائض، ومنها وصفها الفج للعلاقة الجنسية بين محمدٍ ومارية القبطية، وغيره. ورغم أمر القرآن لنساء النبي بأن يعتزلْنَ الرجال ويلتزمْنَ البيت، إلا أن عائشة خالفت ذلك الأمر بوضوحٍ على مدار حياتها، فكانت تخرج وتشارك في الأمور العامة كالمفاوضات السياسية والمعارك، كموقعة الجمل، والأهم أنها كانت تروي تلك الأحاديث الفاحشة للرجال، بشكلٍ يتنافى مع الصورة التقليدية التي يروجها المشايخ عن الحياء المفترض للمرأة المسلمة، ناهيك عن زوجة النبي وأم المؤمنين.

ولا يصح هنا التحجج بأن عائشة كانت مضطرةً إلى ذلك في سبيل شرح الأحكام الفقهية لعوام المسلمين، فهذا الأمر لا

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 3

يستلزم سرد التفاصيل الشخصية بتلك الفجاجة، وإنما كان بإمكانها أن تسرد الحكم وتكتفي بذلك، لكن الواضح أن المرأة كان لديها ولعٌ بالحديث عن أمورها الجنسية الخاصة أمام الرجال.

وهي لم تبدأ تلك العادة وإنما أخذتها عن محمد. ففي "صحيح مسلم"، 527، نجد أن النبي يتحدث عن علاقاته الجنسية مع عائشة أمام الناس وأمامها، فنقرأ على لسان عائشة نفسها: «عن عائشة زوج النبي قالت: إن رجلًا سأل رسول الله عن الرجل يجامع أهله ثم يكسل هل عليهما الغسل؟ وعائشة جالسة. فقال رسول الله إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل».

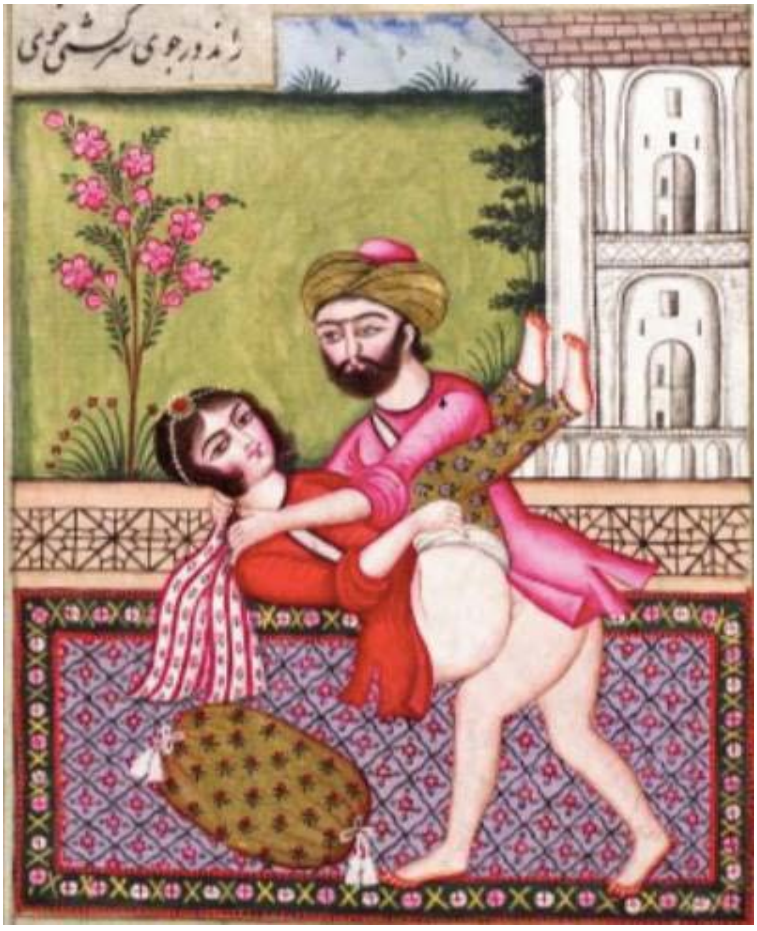

وذلك رغم أن محمدًا نفسه نهى عن أن يتكلم الرجل عن علاقته الخاصة بزوجته أمام الآخرين!، كما نقرأ في موقع "إسلام ويب"، مركز الفتوى، فتوى رقم 161969:

«... فلا يجوز للمرأة إفشاء ما يجري بينها وبين زوجها من علاقةٍ زوجيةٍ كأمور الاستمتاع مثلًا، رُوي عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلم قال: ألا عسى أحدكم أن يخلو بأهله يغلق بابًا ثم يرخي سترًا، ثم يقضي حاجته ثم إذا خرج حدّث أصحابه بذلك، ألا عسى إحداكنّ أن تغلق بابها وترخي سترها فإذا قضت حاجتها حدثت صواحبها، فقالت امرأةٌ سفعاء الخدين والله يا رسول الله إنهن ليفعلن وإنهم ليفعلون قال: فلا تفعلوا فإنما مثل ذلك مثل شيطانٍ لقي شيطانةً على قارعة الطريق فقضى حاجته منها ثم انصرف وتركها. رواه البزار وله شواهدٌ تُقوّيه، وحسّنه الشيخ الألباني؛ وعَن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِي اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا. رواه مسلم؛ وجاء في شرح النووي لصحيح مسلم: وفي هذا الحديث تحريم إفشاء الرجل ما يجرى بينه وبين امرأته من أمور الاستمتاع ووصف تفاصيل ذلك وما يجرى من المرأة فيه من قولٍ أو فعل»

ولكن على ما يبدو فمحمد -كالعادة- استثنى نفسه من تشريعاته، وبعد وفاته تستمر عائشة في عادة إفشاء تفاصيلهما الجنسية أمام الرجال.

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 3

Moussa Eightyzz

المزيد من الروايات الفاحشة

وها هي أم المؤمنين مهتمةٌ بشرح أن القبلة والمباشرة الجنسية مسموحٌ بهما في أثناء نهار رمضان، بل وهي حريصةٌ على توضيح أن النبي كان يقوم بذلك معها، فتقول في "شرح السنة" للبغوي، 1/337: «إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَظَلُّ صَائِمًا، ثُمَّ يُقَبِّلُ مَا شَاءَ مِنْ وَجْهِي حَتَّى يُفْطِرَ. إذا التقى الختانانِ أو مسَّ الخِتَانُ الختانَ فقد وجب الغُسْلُ»، ونفس الكلام عن قبلات محمدٍ لها ومصّه للسانها ومباشرته لها وهو صائم، نجده يتكرر وكأنه مسألةٌ محوريةٌ جدًّا! وذلك في "صحيح البخاري"، 1792، و"صحيح مسلم"، 1852 و1853 و1854 و1855 و1858 و1860 و1861، و"مسند أحمد"، 25018 و23775 وغيره.

وفي رواية البخاري أن بعض الرجال تحرّجوا من سؤال عائشة عن القبلة في أثناء الصيام، لكنها أجابتهم بكل أريحية: «عن علقمة وشريحٍ بن أرطاة رجلان من النخع كانا عند عائشة، فقال أحدهما لصاحبه سَلْها عن القبلة للصائم، قال: ما كنت لأرفث عند أم المؤمنين. فقالت "كان رسول الله يقبل وهو صائمٌ ويباشر وهو صائمٌ، وكان أملككم لإربه"».

وبشأن العبارة الأخيرة لا نملك سوى تكرار السؤال: (كيف عرفت عائشة بمقدار تحكم المسلمين في إربهم؟!)
ثم أنها حريصةٌ على شرح كيف كان يتكئ محمدٌ في حجرها وهي حائض؛ كما ورد في "صحيح البخاري"، 293: «عن عائشة قالت: أنّ النبي كان يتكئ في حجري وأنا حائض».

وفي "السنن الكبرى" للبيهقي، 1/314، مشهدٌ آخر رومانسيّ تحكيه: «أُخبرك بما صنع رسول الله، دخل فمضى إلى مسجده فلم ينصرف حتى غلبتني عيني وأرجعه البرد فقال أدني مني، قالت: فقلت إني حائض، قال: وإن اكشفي عن فخذيك فكشفت عن فخذي فوضع خده وصدره على فخذي وحنيت عليه حتى دفئ ونام».

وفي حديثٍ آخر في "صحيح البخاري"، 1794، و"صحيح مسلم"، 1851، تشرح بالتفصيل كيف أصابها الحيض وكيف اغتسلت مع محمدٍ وكيف كان يقبلها: «عن عائشة قالت: "بينما أنا مع رسول الله في الخميلة إذ حِضْتُ فانسَلَلْتُ فأخذْتُ ثياب حيضتي. فقال: ما لك أنفستِ؟ قلت: نعم. فدخلتُ معه في الخميلة". وكانت هي ورسول الله يغتسلان من إناءٍ واحدٍ وهو صائمٌ وكان يقبلها».

وتستمر أحاديث التقاء الختانين (أي العضوان الجنسيان للرجل والمرأة) ثم الاغتسال من الجنابة ثم المباشرة في أثناء الحيض. ففي "صحيح البخاري"، 6687: «عن عائشة: كنتُ أغتسل أنا ورسول الله من إناءٍ واحدٍ ونحن جُنُبان»؛ وفي "سنن ابن ماجة"، 608: «عن عائشة: إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل، فعلتُه أنا ورسول الله فاغتسلنا»؛
وفي "صحيح البخاري"، 295: «كنت أغتسل أنا والنبي صلّى الله عليه وسلم من إناءٍ واحدٍ كلانا جُنب، وكان يأمرني فأتزر،

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 3

فيباشرني وأنا حائض».

وفي روايةٍ أخرى في "مسند أحمد"، باب عائشة، تُحدِّث رجلًا عن القبلات وتضحك: «عن عائشة قالت: أن النبي قبّل بعض نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ. قال عروة قلت لها: من هي إلا أنت؟ قال: فضحكت».

وفي مشهدٍ آخر تحكي لنا كيف كانت تنظف مَنيّ محمدٍ عن ملابسه، بأن تحكّه بظفرها، كما ورد في "صحيح مسلم"، 290: «قالت عائشة رضي الله عنها: "كنت أحكّه يابسًا من ثوب رسول الله صلّى الله عليه وسلم، أحكّه بظفري وربما غسلته"».

وليت الأمر وقف على الكلام فقط، ففي مشاهد أخرى نجد أن عائشة كانت تمثل أمام الرجال أسلوب الاغتسال الصحيح! فنقرأ في "صحيح البخاري" 243، و"صحيح مسلم"، 481، و"سنن النسائي"، 227، و "مسند أحمد"، 23293، وغيرها: «سمعت أبا سلمة يقول: دخلتُ أنا وأخو عائشة على عائشة فسألها أخوها عن غسل النبي. فدعَتْ بإناءٍ نحوًا من صاعٍ فاغتسلَتْ وأفاضَتْ على رأسها وبيننا وبينها حجاب».

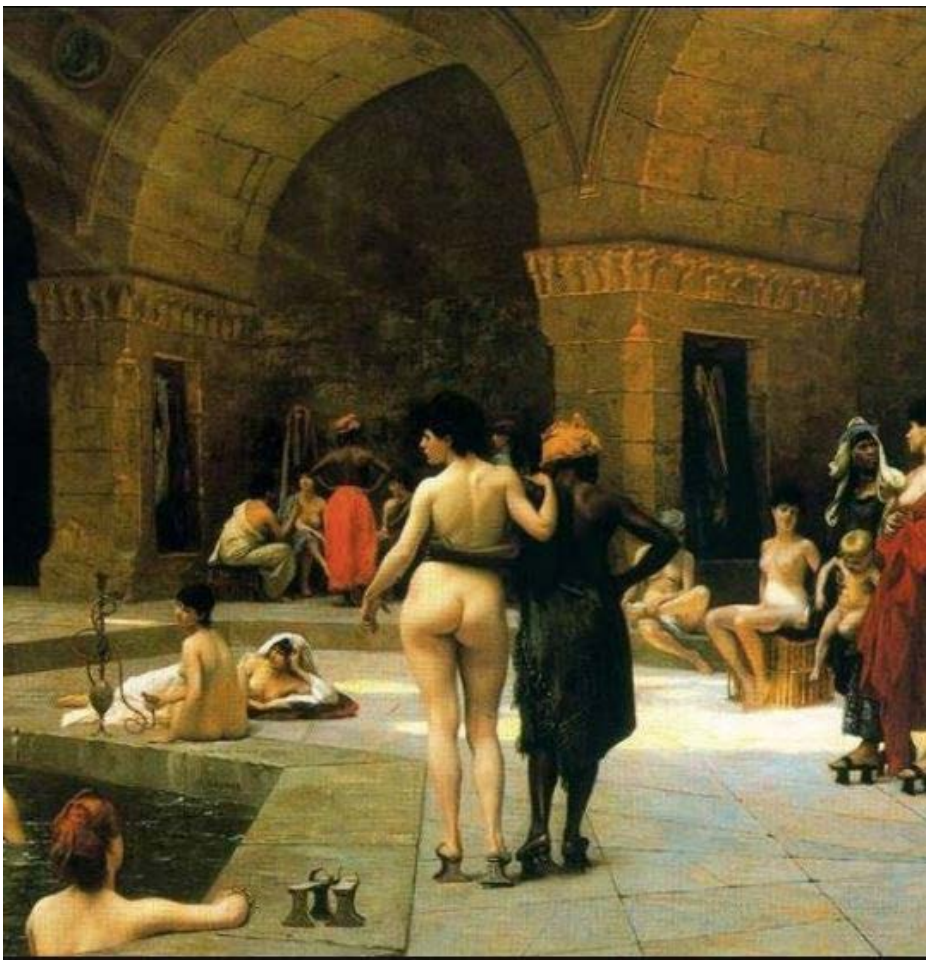

والحجاب، كما ورد في بعض الروايات، هو الستر، وضعته عائشة بينها وبين الرجال وهي تغتسل، وأول تساؤلٍ بديهيٍّ يخطر بالبال: إن كان الهدف من ذلك العرض هو أن تُري عائشة الرجال كيفية غُسل النبي، فما فائدة الحجاب بينهم وبينها إذن؟! وإن كانت مستورةً تمامًا عن عيونهم فكيف سيتحقق غرض التعلم؟ أم يُفهم من ذلك أن الحجاب لم يكن ساترًا تمامًا؟

وفي الرواية الأخيرة نلاحظ أن من دخلوا على عائشة كان ضمنهم شخصٌ (أخوها في الرضاعة)، ولذلك الأمر قصةٌ أخرى مشوقة.

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 3

عائشة و "إخوانها" الغامضون

مررنا سابقًا بفقه قرابة الرضاع ورضاع الكبير، حيث يمكن شرعًا لرجلٍ أن يصبح محرّمًا على أي امرأةٍ عن طريق رضاعته منها، فيصير ابنها من الرضاعة، أو يرضع من إحدى قريباتها، مثل أمها، فيصبح أخوها من الرضاعة، أو أختها، فيصبح ابن أختها من الرضاعة،... إلخ؛ ومن ثم يستطيع الدخول على تلك المرأة والاختلاء بها كما شاء، ورأينا كيف أن محمدًا هو من شرّع ذلك الوضع الشاذ حيث أمر به أم حذيفة.

ولكن الطريف في الأمر أن أكثر من استفاد من تشريع رضاع الكبير هو عائشة، فاستغلت المسألة بشكلٍ مدهشٍ حقًّا. ففي أحد الدروس المسجلة على مقطعٍ متداول، يقول الشيخ أبو إسحاق الحويني بالحرف: "عائشة إذا أرادت أن يدخل عليها أحدٌ من الرجال تأمر بناتِ أخواتها أو بنات إخوانها أن يرضعْنَ هذا الرجل ثم يدخل عليها". هكذا!

وفي موقع "إسلام ويب"، مركز الفتوى، فتوى رقم 3901، نقرأ: «وفي الموطأ والمسند وسنن أبي داود أن عائشة رضي الله عنها كانت تأمر أخواتها وبنات أخواتها أن يرضعن من أحبّت أن يدخل عليها من الرجال. والحديث طويلٌ وفيه فوائد وهو صحيح».

نلاحظ فارقًا طفيفًا بين كلمتي "أرادت" و "أحبت"، وبالرجوع إلى المصادر نجد أن الثانية هي الصواب، وأن الحويني استبدل بها كلمة "أرادت" حتى يخفف المسألة قليلا.

ثم إن موقع "إسلام ويب" يضيف لنا معلومةً مهمةً، وهي أن عائشة كانت هي الوحيدة بين زوجات النبي التي طبقت ذلك التشريع العجيب، بينما رفضت باقي الزوجات ذلك. فنقرأ في نفس الفتوى السابقة:

«أبَتْ سائر أزواج النبي صلّى الله عليه وسلم أن يُدخِلن عليهنّ أحدًا بتلك الرضاعة، وقُلن لعائشة: والله ما نرى هذا إلا رخصةً أرخصها رسول الله صلّى الله عليه وسلم لسالم خاصةً».

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 3

لكن عائشة أصرت أن الحكم عامّ، واستمرت تأمر قريباتها أن يُرضعن الرجال حتى يدخلوا عليها بحرية!

في "مسند أحمد"، 25125، وبعد أن يذكر الراوي قصة رضاعة الكبير الأصلية بين النبي وأم حذيفة، ينتقل إلى ما كانت تفعله عائشة: «... فأمرها رسول الله (أي أم حذيفة) عند ذلك أن ترضع سالمًا فأرضعته خمس رضعاتٍ وكان بمنزلة ولدها من الرضاعة، فبذلك كانت عائشة تأمر أخواتها وبنات أخواتها أن يرضِعْن من أحبت عائشة أن يراها ويدخل عليها وإن كان كبيرًا خمس رضعاتٍ ثم يدخل عليها، وأبت أم سلمة وسائر أزواج النبي أن يُدخلن عليهن بتلك الرضاعة أحدًا من الناس حتى يرضع في المهد، وقلن لعائشة والله ما ندري لعلها كانت رخصةً من رسول الله لسالم من دون الناس»، ونفس المعنى في "صحيح مسلم"، 1454، و "سنن أبي داود"، 1764.

وفي "موطأ مالك"، 1107: «عن نافعٍ أن سالمًا بن عبد الله بن عمر أخبره: أن عائشة أم المؤمنين أرسلت به وهو يرضع إلى أختها أم كلثوم بنت أبي بكرٍ الصديق، فقالت: أرضعيه عشر رضعاتٍ حتى يدخل عليّ».

نفهم إذن أن "المنطق" الإسلامي المحمدي والعائشي يسير على النحو التالي:

- يا أيتها المرأة: هل يمكنني أن أختلي بك فنجلس وحدنا؟

- حاشا لله! هذا حرامٌ شرعًا ولا يُرضي الله ورسوله!

- هل يمكنني إذن أن أرضع من ثدي أختك أو أمك أولا، وبعد هذا أختلي بك فنجلس وحدنا؟

- نعم بكل سرور! هكذا يصير الوضع حلالًا يُرضي الله ورسوله.

ونعم العفة والفضيلة، بل ونعم المنطق في هذا الدين!

وبسبب أهمية ذلك التشريع -رضاع الكبير- بالنسبة لعائشة، ظهر الادعاء أن الحكم كان موجودًا في آيةٍ قرآنيةٍ في بيتها تحت سريرها، لكنها ضاعت حين أكلتها داجن (ماعز)، كما ورد في "سنن ابن ماجة"، 1934، و "سنن الدارقطني"، كتاب الرضاع، و "معرفة السنن والآثار" للبيهقي، كتاب الرضاع، وغيرها.

والكارثة أن عائشة كانت تمارس ذلك الأمر في حياة محمدٍ أيضًا، حيث كان يدخل عليها فيجد عندها رجالًا لا يعرفهم، فيغضب، فتخبره هي بأنهم إخوانها في الرضاعة. وضجر النبي من الأمر حتى أمرها أن تعيد النظر في هذه المسألة.

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 3

نقرأ هذا الخبر في "صحيح البخاري"، 2647، و "صحيح مسلم"، 1455، و "صحيح النسائي"، 3312، و "سنن أبي داوود"، 2058، و "صحيح ابن ماجة"، 159: «دخل رسولُ اللهِ صلّ اللهُ عليه وسلَّمَ وعندي رجلٌ قاعدٌ. فاشتدَّ ذلك عليه. ورأيتُ الغضبَ في وجهِه. قالت فقلتُ: يا رسولَ اللهِ! إنه أخي من الرضاعةِ. قالت فقال "انظُرْنَ إخوتَكنَّ من الرضاعةِ. فإنما الرضاعةُ من المجاعةِ"»، وفي رواية أخرى "قالَت هذا أخي. قالَ انظُروا من تُدخِلنَ عليكُنَّ".

هكذا إذن نفهم أن رجالًا غامضين لا يعرفهم أحدٌ يدخلون عند عائشة، وكان التبرير جاهزًا دائمًا: أنهم إخواني، من الرضاعة!
ولكن نتساءل يا ترى ما الذي أغضبك يا رسول الله؟ أليس هذا تشريعك المقدس الذي وضعته بنفسك ورضيت به لأم حذيفة؟ أم أن حال بيتك يختلف عن بيوت سائر المسلمين؟

في الحقيقة لا نملك سوى تهنئة عائشة الذكية، التي نجحت في استغلال تشريع محمدٍ ضده، وجعلته يناقض نفسه للمرة المليون، فيستنكر على نسائه ما سبق أن قبله لنساء الآخرين!

روايات شذوذ الرسول

بالإضافة إلى كثرة الزيجات واغتصاب أسيرات الحرب والانجراف وراء الشهوات بشكلٍ غير منضبط، نجد في المصادر الإسلامية العديد من الروايات الغريبة جدًّا والتي تنقل لنا ممارساتٍ جنسيةً شاذةً ومقززةً قام بها محمد، تجاه ابنته وتجاه أحفاده.
في "سنن أبي داود"، 5217، و "صحيح الترمذي"، 3872 وغيرهما، نسمع عائشة تحكي أن محمدًا كان يكثر من تقبيل ابنته «... كانت إذا دخلتْ عليه (فاطمة) قام إليها، فأخذ بيدِها وقبَّلها وأجلسَها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامتْ إليه، فأخذتْ بيدِه فقبَّلتْه وأجلستْه في مجلسِها».
إلى هنا يبدو أن الأمر عاديًا، فهي مجرد قبلاتٍ بين أبٍ وابنته. ولكن في مصادر أخرى نفاجأ أن تلك القبلات كانت في الفم!

في "المستدرك"، 3/156، نقرأ: «كان رسول الله إذا رجع من غزاةٍ أو سفرٍ أتى المسجد، فصلى فيه ركعتين، ثم ثنى بفاطمة رضي الله عنها، ثم يأتي أزواجه، فلمّا رجع خرج من المسجد تلقَّتْه فاطمة عند باب البيت تلثم فاه»؛ وفي "فيض القدير" للمناوي، 1/105: «وكانت فاطمة من فضلاء الصحابة وبلغاء الشعراء، وكانت أحب أولاده إليه، وإذا قدمت عليه قام إليها وقبَّلها في فمها».

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 3

وفي نفس المصدر السابق "فيض القدير"، 5/174، نجد إضافة أن النبي كان يمص لسانها أيضًا!

وفي كتاب "ذخائر العقبى" للطبري، 1/36، نقرأ أن عائشة استغربت من كثرة تقبيل النبي لابنته، فيذكر لها تبريرًا عجيبًا، مفاده أن رائحة فاطمة تذكره بثمار الجنة التي كان قد سبق وأكلها!
«عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي يكثر القُبَل لفاطمة، فقالت له عائشة: إنك تكثر تقبيل فاطمة! فقال: إن جبريل ليلة أسرى بي أدخلني الجنة، فأطعمني من جميع ثمارها، فصار ماءًا في صلبي، فحملت خديجة بفاطمة، فإذا اشتقتُ لتلك الثمار قبَّلت فاطمة، فأصبْتُ من رائحتها جميع تلك الثمار التي أكلتها».

ونفس المشهد نقرأه في نفس المصدر، حيث تستغرب عائشة من قيام محمدٍ بإدخال لسانه في فم ابنته ومص لسانها:
«ذكر ما جاء أنه -صلّى الله عليه وسلم- كان يقبّلها في فيها ويمصها لسانه. عن عائشة رضى الله عنها قالت: قلت يا رسول الله مالك إذا قبلت فاطمة جعلت لسانك في فيها كأنك تريد أن تلعقها عسلًا؟ فقال صلّى الله عليه وسلم إنه لما أُسرى بي أدخلني جبريل الجنة فناولني تفاحةً فأكلتها فصارت نطفةً في ظهري فلما نزلت من السماء واقعتُ خديجة، ففاطمة من تلك النطفة كلما اشتقت إلى تلك التفاحة قبلتها». والرواية وردت في "تاريخ بغداد" 5/87، و "الفضائل"، 3/124، وبالطبع لكل شخصٍ أن يحكم على مدى وجاهة التبرير المحمدي لسلوكه!

وفي نفس المصدر "ذخائر العقبى"، 1/36، نجد أن النبي كان يُقبِّل أيضًا عنق فاطمة، ويستخدم مبررًا مشابهًا: «وعن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلّى الله عليه وسلم قبَّل يومًا نحر فاطمة، فقلت له: يا رسول الله فعلت شيئا لم تفعله، فقال: يا عائشة إني إذا اشتقت إلى الجنة قبّلتُ نحر فاطمة».

وفي مصادر أخرى -شيعية- نقرأ أنه كان يُقبّل وجهها ويضع وجهه بين ثدييها؛ ففي "بحار الأنوار"، 43/44: «كان رسول الله لا ينام حتى يُقَبِّلَ عرض وجه فاطمة»، وفي نفس المصدر 43/78: «وكان يَضعُ وجهَه بين ثَدْيَيْها».
بل إن ذلك الشذوذ سيمتد حتى يصل إلى أبناء فاطمة، أحفاد محمدٍ أنفسهم.

الشذوذ مع الأحفاد

لننتقل إلى روايات شذوذ محمدٍ مع الأطفال الذكور، الأحفاد.

رأينا فيما سبق اشتهاء نبي الإسلام لعائشة الطفلة وزواجه بها، كما رأينا اشتهاءه للصبي الأمرد الصغير، حتى طلب أن يجلسوه وراءه كي لا يراه. وهنا نشاهده يمارس مظاهر عجيبةً ومقززةً من الشذوذ مع الحسن والحسين أبناء فاطمة ابنته.

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 3

ففي "ذخائر العقبي"، 126، نجد أن محمدًا كان يمص لسان الحسن، وكذلك في "مسند أحمد"، 16848، نقرأ روايةً تقول بأن محمدًا كان يمص لسان الحسن أو شفته: «رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلم يمص لسانه أو قال شفته، يعني الحسن بن علي صلوات الله عليه. وإنه لن يُعذَّب لسانٌ أو شفتان مصهما رسول الله صلّى الله عليه وسلم».

ونفس الشيء في "مجمع الزوائد" للهيثمي، 14371، وفي "تاريخ ابن عساكر"، 4/169، ولا ندري ما علاقة المص بالجزاء الآخروي على الأعمال!

وفي "كنز العمال" للمتقي الهندي، 37648: «عن أبي هريرة قال: رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلم يمص لسان الحسن كما يمص الرجل التمرة».

وفي موقع "إسلام ويب"، مركز الفتوى، فتوى رقم 165013، نقرأ سؤالًا لأحدهم يقول: «في موقع للنصارى يذكرون أن الرسول صلّى الله عليه وسلم والعياذ بالله كان شاذًا، لأنه كان يمص لسان الحسن وعليٍّ بن أبي طالب وفاطمة ويستشهدون على ذلك بأحاديث عند الترمذي وأحمد وأبي داود وغيرهم، فما هو الرد العلمي على ذلك بدون تعصبٍ أو شتائم بارك الله فيكم».

فجاء الجواب من المفتي كالآتي، ننقل فقراتٍ منه لأهميته
«فأما حديث: مص النبي صلّى الله عليه وسلم لسان الحسن فقد رواه أحمد في مسنده عن معاوية رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلم يمص لسانه أو قال شفته يعني الحسن بن علي صلوات الله عليه، وإنه لن يُعذَّب لسانٌ أو شفتان مصهما رسول الله صلّى الله عليه وسلم».

«وأما بالنسبة لعليٍّ رضي الله عنه فالذي اطّلعنا عليه ما أورده عليٌّ بن برهان الدين الحلبي في السيرة الحلبية نقلًا عن الزمخشري حيث قال: وفي خصائص العشرة للزمخشري أن النبي صلّى الله عليه وسلم تولّى تسميته بعليٍّ وتغذيته أيامًا من ريقه المبارك بمصه لسانه، فعن فاطمة بنت أسدٍ أم علي رضي الله تعالى عنها أنها قالت: لما وَلدتْه سمّاه عليًّا وبصق في فيه ثم إنه ألقمه لسانه، فما زال يمصه حتى نام، قالت فلما كان من الغد طلبنا له مرضعةً فلم يقبل ثدي أحدٍ فدعونا له محمدًا صلّى الله عليه وسلم فألقمه لسانه فنام فكان كذلك ما شاء الله عز وجل».

«وأما فاطمة رضي الله عنها فالمعروف عنها تقبيل رسول الله صلّى الله عليه وسلم لها، فقد روى أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت أحدًا كان أشبه سمتًا ودلًا وهديًا برسول الله صلّى الله عليه وسلم من فاطمة، كانت إذا دخلت عليه قام إليها فأخذ بيدها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبلته وأجلسته في مجلسها».
«والحديثان الأول والثالث صحيحان، وأما قصة عليٍّ رضي الله عنه فهي غير مسندةٍ حتى يتم الحكم على إسنادها».

Moussa Eightyzz

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 3

والخلاصة أن قصة تقبيل محمدٍ لفاطمة، ومصه للسان الحسن، هي رواياتٌ صحيحةٌ حسب مقاييس علماء الإسلام.
ولكن الكارثة الأكبر أن تقبيل رسول الله للأحفاد لم يتوقف عند الفم واللسان، بل نزل إلى أماكن أخرى أكثر خصوصيةً.

حيث نقرأ في بعض المصادر -السنية والشيعية- أن محمدًا كان يقبل العضو الذكري للحسن والحسين!

ففي "مجمع الزوائد" للهيثمي، 9/189، نقرأ: «كان النبي صلّى الله عليه وسلم يقبل زُبّ الحسين» وفي لفظٍ «زُبيبة».
وفي نفس المصدر: «وعن ابن عباسٍ قال رأيت رسول الله فرج ما بين فخذي الحسين وقبل زبيبته».

ونفس النص نجده في "المعجم الكبير" للطبراني، 3/45 و12/108 و"الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة"، 9/555، و "الإصابة"، 1/611، و "مجمع الزوائد"، 14431، و "سير أعلام النبلاء"، 253، وغيرها: «عن ابن عباسٍ أنه قال: رأيتُ رسول الله فرَّج فخذي الحسين وقَبَّلَ زُبَيْبته».

وفي "السنن الكبرى" للبيهقي، 1/137: «عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كنا عند النبي، فجاء الحسن، فأقبل يتمرَّغ عليه، فرفع عن قميصه، وقبَّل زُبَيْبته».

ونفس الكلام موجودٌ في المصادر الشيعية: ففي "بحار الأنوار" للمجلسي، 43/317، و77/224، وفي "مستدرك الوسائل" للنوري، 1/236، وفي "الجعفريات" لمحمد الأشعف الكوفي، 30-19، «أَنَّ النَّبِيَّ قَبَّلَ زُبَّ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، كَشَفَ عَنْ أُرْبِيَّتِهِ وقَامَ فَصَلَّى مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَوَضَّأَ».

وفي "المبسوط"، 12/375، «أن النبي كان يقبل زب الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما وهما صغيران».
وقد استدل فقهاء، سنةٌ وشيعة، بذلك الحديث على أن الطفل الصغير ليس له عورة!

كما نقرأ في "المغنى" لابن قدامة، 5341: «فأما الغلام الذي لم يبلغ سبعًا فلا عورة له يحرم النظر إليها. وقد روي عن ابن أبي ليلى عن أبيه قال: "كنا جلوسًا عند النبي صلّى الله عليه وسلم قال: فجاء الحسن فجعل يتمرغ عليه فوقع مقدم قميصه، أراه قال: فقبل زبيبته" رواه أبو حفص».
وفي كتاب "نصب الراية لأحاديث الهداية" للزيلعي، مع حاشية "بغية الألمعي في تخريج الزيلعي"، باب شروط الصلاة

هدم أسطورة دين العفّة
جـ7: محمد - 3

Moussa Eightyzz

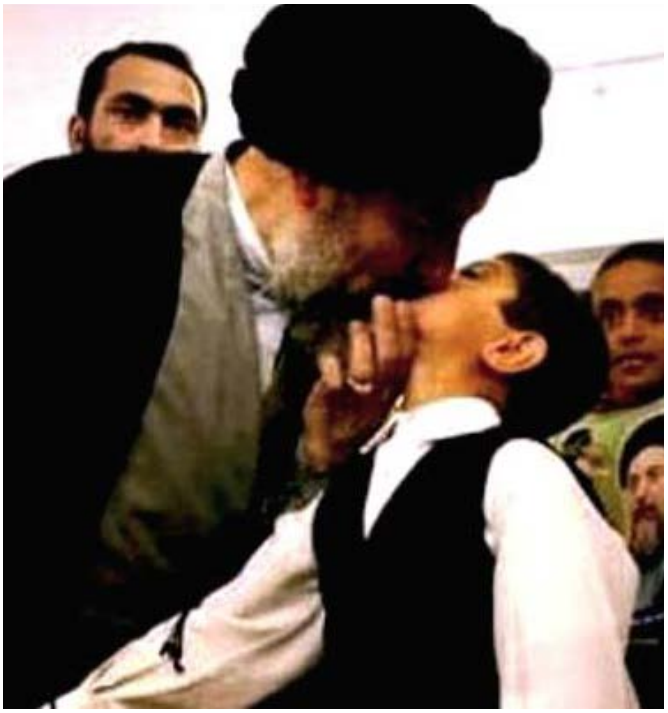

الحديث الرابع: «واستدل الشيخ في "الإمام" على أن الصغير ليس له عورةٌ بحديث رواه الطبراني في "معجمه الكبير": أخبرنا الحسن بن عليٍ عن خالدٍ بن يزيد عن جريرٍ عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباسٍ قال: رأيت رسول اللّه يفرّج ما بين فخذي الحسن وقبّل زبيبته».

وفي "نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار" للشيخ الشوكاني، الجزء الأول، باب من لم ير الفخذ من العورة وقال هي السوأتان فقط، نقرأ:

«والإلزام أن ذكر الرجل ليس بعورةٍ لما روي أنه صلّ اللّه عليه وآله وسلم قبّل زبيبة الحسن أو الحسين، أخرجه الطبراني والبيهقي من حديث أبي ليلى الأنصاري، قال البيهقي: وإسناده ليس بالقوي، وروى أيضًا من حديث ابن عباسٍ بلفظ "رأيت رسول اللّه صلّى الله عليه وسلم فرج ما بين فخذي الحسين وقبّل زبيبته. أخرجه الطبراني وفي إسناده قابوس بن أبي ظبيان"».

يتبع ..

www.facebook.com/M-80-II-941772382615672

رسومات دينية ساخرة

M80

غير مناسبة لذوي المشاعر الدينية المرهفة

مسلمو أمريكا الشمالية السابقون

Ex-Muslims of North America

NO BIGOTRY, NO APOLOGY

دون تعصبٍ أعمى، او تبريراتٍ واهية

نبني جماعات داعمة
Building Communities

ننشر القيم العلمانية
Promoting Secular Values

نعمل على تخفيف عواقب الردة
Mitigating Costs of Apostasy

نسعى لتطبيع الانشقاق الديني
Normalizing Religious Dissent

facebook.com/exmna
@exmuslimsofna
exmna.org
theexmuslim.com

EXMNA

حصانة المقدّس
واقعٌ مقدّس

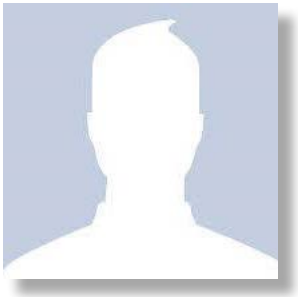

عباس عبّود

تقديم

المقدسات أشياءٌ لها مكانةٌ عظيمةٌ لدى الإنسان، ولكن يجب أن يعلم الجميع أنّ لا حصانة لشيءٍ أمام النقد الموضوعي، ولا قيمة لشيءٍ إلا القيمة الواقعية، ولا شيء يصمد أمام العقلانية.

عباس عبّود

واقعٌ مقدّس

لا أختزل الواقع بالجانب السلبي، ولكن أزعم أن الإنسان لا يعي حجم مأساته، ولم يقدرها حق قدرها في مجمل تعامله.

نامي جياع الشعب نامي حرستك آلهة الطعام

نامي فإن لم تشبعي من يقظةٍ فمن المنام
نامي على زبد الوعود يداف في عسل الكلام
نامي تزرك عرائس الأحلام في جنـــح الليالي
تتنوري قرص الرغيف كدورة البـــدر التمام
وتري زرائبك الفساح مبلـــطات بالـــرخام
نامي تصحي نِعم نوم المرء في الكرب الجسام
نامي على حمت القنا نامي على حد الحسام
نامي إلى يوم النشور ويوم يؤذن بالقيام
نامي على المستنقعات تموج باللجج الطوامي
نامي فقد أضفى العراء عليك أثواب الغرام
نامي على مهد الأذى وتوســدي خــد الرغام
واستفرشي صم الحصى وتلحفي ظلــل الغمام
نامي فقد غنّى إله الحرب ألـــحان الـــسلام

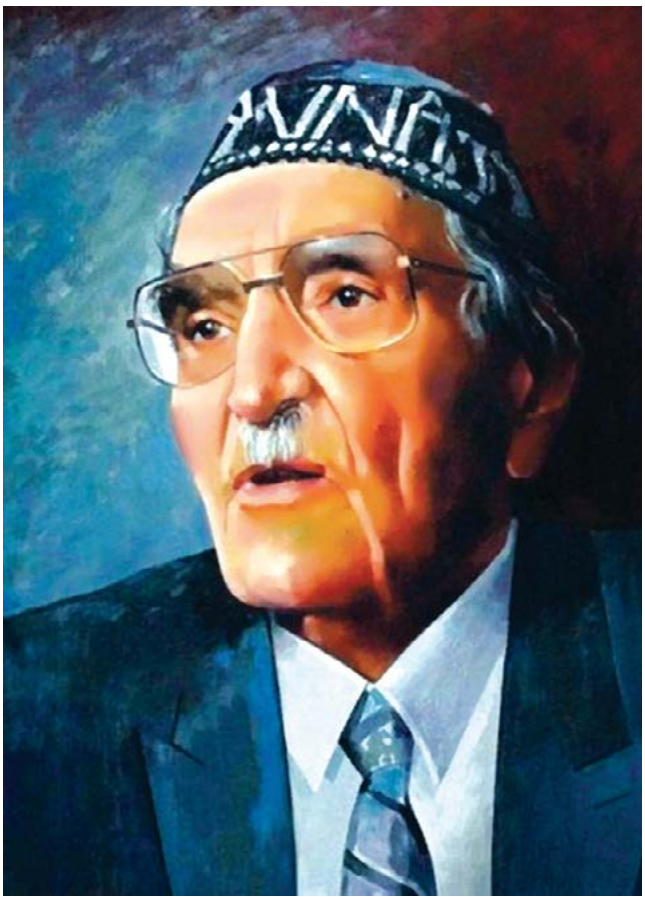

للشاعر العظيم: محمد مهدي الجواهري

سمّه ما شئت، قدرٌ بتقديرٍ وتخطيطٍ إلهي (مع فرض وجود الله)، أو واقعٍ موضوعي، أو أي اسمٍ آخر، هو هو، إنه واقعنا والوجود الذي نحن جزءٌ منه ونتفاعل مع مفرداته وبكل امتداداته الأفقية والعمودية، هذا الواقع الذي يبسط نفوذه المطلق على مطلق ماهيتنا ويحدد المتغيرات والنتائج، ويسوقنا خانعين من خلال آلة الحتمية المتجبرة.

وسنختزل كل المسميات هذه أو المرادفة لها تحت عنوان (الواقع) وإن كانت هناك ثمة فوارق دلاليةٌ إلا أن ما نرمي إليه من معنًى حاضرٍ في مفردة الواقع ببعدِها المفتوح ويتقاطع مع بقية المفردات المرادفة.

بدءًا لنتساءل ومن وجهة نظر الذات الإنسانية، هل أن هذا الواقع إيجابيٌ بالنسبة لنا على طول الخط، إذا اعتبرنا راحة الإنسان وسعادته هما المقياس وهما عنوان الإيجابية. ولنتأمل هذا الواقع منذ أن بدأ الإنسان يحس بالألم والنشوة

حصانة المقدّس

عباس عبّود

وإلى حد الآن، ونحكم بموضوعيةٍ وحياديةٍ على هذا الواقع من خلال التجربة الإنسانية.
في الحقيقة لا يستطيع أحدٌ أن ينكر أو يتجاوز كون الواقع يُنظر إليه بنوعٍ من التقديس، وهذا التقديس بدأ مع البدايات الأولى لتأملات الإنسان.

فعظمة هذا الواقع وتعلّق الإنسان به وخوفه من المقدر جعل هذا الإنسان ينظر بشيءٍ من التقديس وبمقدارٍ واضحٍ من التزلف والتودد، ولذلك قدّم له القرابين وتحت عناوين شتّى رغبةً في رضاه ووصولًا لإيجابيته.

وهذا العامل موجودٌ وإلى حد الآن وإن كان متخفيًا تحت عناوين أخرى مختلفةٍ بعض الشيء، إلا أن العامل الحاسم الذي رسخ تقديس القدر أو الواقع هو (الله) والدين.

إن الإنسان وفي كل الأزمنة يعلم جيدًا وجود سلبيةٍ عظيمةٍ في هذا الواقع، ولكن هذا العلم بهذا الواقع يناقض الطرح الديني في جوانب أساسية، حيث أن أهل الدين قالوا بعدالة الواقع وإيجابيته لأن (الله) هو مسبب الواقع والقدر وهو الآلية لتحقيق الرغبات الإلهية.

أي أن المؤمنين أهملوا جوانب عظيمةً من سلبية الواقع وهربوا من إشكالية مرجعية الشر والألم في الواقع وقالوا بإيجابيته ولو بالمحصلة أو بالنهاية الآخروية وبالتالي النظر إليه بتقديسٍ لأن المسبب لهذا الواقع هي ذاتٌ مقدسة (الله)، وهذه الذات من المفترض أنها مطلقة العدالة والإيجابية، وهكذا وبفعل التراكم نجد أن فرضية إيجابية الواقع (وهي نمطٌ من أنماط التقديس) قد رسخت في ثنايا المجتمع البشري وتراثه، وطبعًا بالإضافة إلى أسبابٍ أخرى ستورد.

تجدر الإشارة هنا إلى أن النظرة القائلة بإيجابية الواقع ليست حكرًا على أصحاب الديانات، وإنما نجد هذه النظرة حتى عند الأفراد والشعوب ممن لا يتدين بدينٍ معين، وإن كان رسوخ هذه النظرة أقل وبشكلٍ واضح، والسبب هو عامل الخوف والتزلف الذي أشرنا إليه آنفًا، بالإضافة إلى أن الإنسان لا يستطيع أن يتعايش أو يحتمل كون سلبية القدر أمرًا واقعًا، فالإنسان يخاف من هذا الاحتمال ذي الوقع الرهيب عليه، ولذلك فإنه يهرب إلى الأمام ويصور الوجود على إنه إيجابي (على الأقل في النهاية)، أي تمامًا كما تكون نهايات الأفلام فالجمهور لا يحب النهايات التراجيدية.

الحقيقة لا يوجد شيطانٌ يتحمل مسؤولية هذا الشر العظيم في هذا الواقع، ولا يمكن إلقاء المسؤولية على (الله) لأنه غير موجود، وإنما المسؤول الأول والأخير عن السلبية هو الواقع بمعادلاته الجامدة.

عباس عبّود

سلبية الواقع

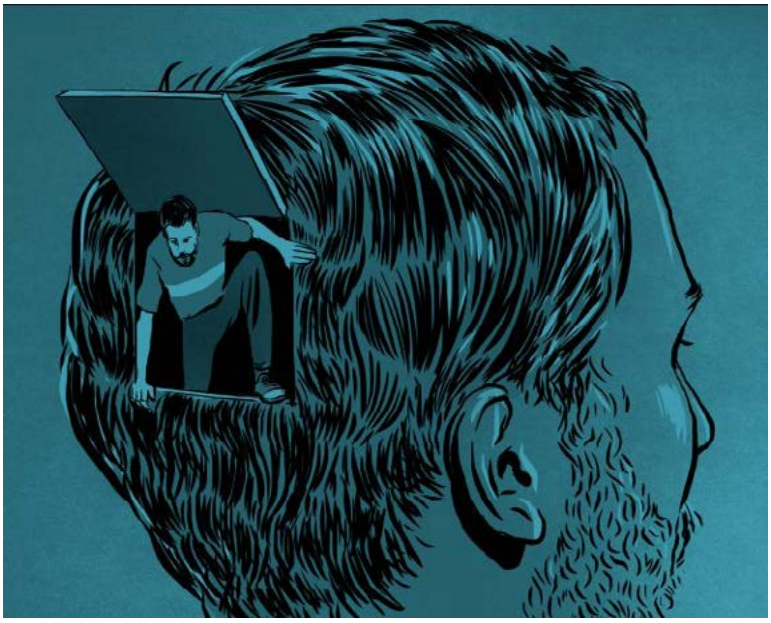

المتعامي هو فقط من ينكر وجود إيجابياتٍ كثيرةٍ وعظيمةٍ في الواقع، ونقصد بالإيجابيات المُثل والتنظيرات الإيجابية بالنسبة لمصلحة الإنسان وكذلك مَواطن الراحة والسعادة، ولكن بالتأكيد هناك سلبياتٍ عظيمةً جدًا وفقًا لنفس المقياس، وهذه أكبر من أن تُحجّم وأكثر من أن تُعدد وأخطر من أن تُهمل، نحن لا نريد أن ندخل في جدلية أيهما أعظم السلب أم الإيجاب في هذا الواقع، لأننا نعتقد أولًا أن هذا ليس الهدف، وثانيًا أنه لا توجد محصلةٌ بالنسبة لهذا المقياس في هذا الواقع المطلق.

سنكرس هذا الفصل فقط للسلبيات العظيمة في هذا الواقع والتي فرضت سلطتها المقيتة على واقع الإنسان منذ البدايات الأولى لحياته ولحد يومنا الحاضر وستبقى تقض مضجعه في المستقبل، لأنها باختصارٍ جزءٌ من ضرورات الواقع وحيثياته وهذه (كافيةٌ وزيادة) لدحض تقديس الواقع استنادًا إلى إيجابيته المزعومة، أما إيجابيته، فالكثير كتب عنها وضخمها سابقًا وحاليًا وسيقوم الكثيرون بهذا الدور مستقبلًا.

إن الهدف من هذا الفصل ليس التشاؤم والانكفاء والانهزام أو ترسيخ اللعن العاطفي الفارغ للواقع، وإنما الهدف هو الموضوعية والحقيقة بل وحتى الإخلاص للمتضررين في هذا الواقع عبر كل الأزمنة والأمكنة.

إن هناك حقائق خطيرةً عظيمةً قد أهملها الإنسان لأهدافٍ شتى، وهذه يجب أن تُوضّح لكي يتم خلق قاعدةٍ سليمةٍ وموضوعيةٍ للتعامل مع الواقع، فالتغاضي عن وجود سلبياتٍ عظيمةٍ في الواقع لا يروّض هذا الواقع، لذلك نحن نرى بأن الصراحة والجرأة والموضوعية في هذا الموضوع تجعل الإنسان أقوى وأصلب في مقارعته للواقع، وعكس ذلك يُضعف موقف الإنسان ويشتت طاقاته وأفراده ويجعل وقع صدمة السلبية في الواقع أشد على الإنسان وأقسى.

تجب الإشارة هنا إلى إننا سوف لن نقذف الواقع بشتائم عمياء من منطلقٍ عشوائيٍّ انفعالي، وإنما سنقذفه بسيلٍ من السلبيات الراسخة في حياتنا بوجهها القبيح، وبآهاتٍ بشريةٍ سابقةٍ ولكن صداها حاضر، وبآهات (عصرية) حديثة، بل إن قسمًا منها طازج، وكل هذه لا يمكن أن تغيب شمسها الحزينة لأنها من صلب الواقع والتجربة الإنسانية وعنوانٌ عريضٌ لها.

عباس عبّود

الحاجة والألم

السلبي في الواقع هو كل ما يتعارض مع مصلحة الإنسان عمومًا، ومن هذا المنطلق يكون كل معتقدٍ أو تنظيرٍ أو سلوكٍ يتعارض مع هذه المصلحة ويتجاوز الخطوط الأخلاقية العامة والعقلانية ضمن هذا الإطار هو سلبيٌ وإسقاطات هذا السلبي على الواقع هي ألم ومعاناة الإنسان بإطاره العام.

إن معاناة الناس في هذا الواقع لا يمكن حصرها في أطرٍ معينةٍ أو حالاتٍ محددةٍ أو عناوين ثابتةٍ لذلك سنورد الأكثر حضورًا من هذه العناوين في الواقع البشري قديمًا وحديثًا.

إن إسقاط سلبيات الواقع على الإنسان متعددة الألوان والكيفيات، ولكن كلها تجتمع في بؤرةٍ كريهةٍ واحدةٍ ألا وهي بؤرة الألم،

ونقصد بالألم كل المشاعر السلبية التي يحس بها الإنسان سواءً أكان المسبب نفسيٌ أو مادي، فالألم الجسماني والخوف والقلق والتعرض للاضطهاد والجوع وغيرها من مصاديق الألم علها تجتمع في دائرةٍ واحدةٍ وهي دائرة إحساسٍ سلبيٍّ كريهٍ يحس به الإنسان.

إن حاجات ورغبات الإنسان مفتوحةٌ وطالما أن هناك تناقضًا صارخًا واضحًا بين هذه الحاجات والرغبات وضرورات الواقع، إذًا هناك إحباطٌ مفتوحٌ في الحاجات والرغبات وهنا يتألم الإنسان باتجاهاتٍ مفتوحةٍ وبمقدارٍ متفاوت، أي أن الواقع قد استوجب وجود الألم، بل استوجب في أحيانٍ كثيرةٍ أن سعادة إنسانٍ تُحقق تعاسة آخر. إن ما يحصل عليه الإنسان مما يريد لا يتناسب مع ما هو متحققٌ مما أراد.

لو كان هذا الواقع إيجابيًا لما كان هذا الإحساس موجودًا، بل إن هذا الإحساس لا يمكن إلا أن يكون موجودًا، لأن كل من السلبي والإيجابي جزءٌ من هذا الواقع وعنصرٌ من عناصر معادلاته المطلقة. ولو كان الواقع منصفًا بالنسبة للإنسان لكانت السعادة هي السائدة وسد الحاجة هي حالةٌ طبيعيةٌ لا تشذ عنها حالةٌ ولكن هذا لا يكون للسبب المذكور. إن مسببات هذا الألم لا متناهية ومتماهية، وحالاته متداخلة، فهي بين نقصٍ في الحاجة كالجوع والجنس وبين ذهاب الحالة الطبيعية كالاعتلال بعد الصحة، وبين حالاتٍ أخرى، إلّا أن كل هذه الحالات لها قاسمٌ مشتركٌ وحيدٌ ألا وهو ذلك الإحساس النفسي الكريه.

عباس عبّود

من هذا المنطلق سنورد أهم عناوين هذا الألم في واقع الإنسان، ونقصد بالعناوين هنا أهم حالات هذا الألم بصورةٍ عامة، وليس بصورةٍ مفصلةٍ أو بطريقةٍ تتناول شرحًا نفسيًّا أو فسيولوجيّا للألم، وتجاوزنا المنغصات والحالات السلبية الطارئة والمحن والإحباطات الشخصية والتي تتسم بأنها نسبيةٌ ولا يمكن إدراجها تحت عناوين الألم العامة اللاحقة الذكر، علمًا بأننا لا نستطيع أن نخلق أجواء الألم ونذكر كل مفرداته، ويمكن لكل شخصٍ أن يلاحظ المصاديق حوله، أي سنتناول أبرز الوجوه القبيحة لهذا الإحساس الكريه في واقع المجتمع البشري من ناحية أسبابه الرئيسية التي لها حضورها القوي في هذا الواقع، سنذكر هذه الوجوه العامة، أما الأمثلة فهي أكبر من أن تُحصر فتُورد، وأما المسببات المباشرة للألم فهي مطلقةٌ إذ أن كل شيءٍ في الواقع ممكن أن يتحول إلى أداةٍ تخلق الألم، فمثلًا هذا الماء الذي يملأ ثلاثة أرباع سطح الأرض ممكن أن يتحول إلى أداةٍ لتعذيب إنسانٍ يقتله العطش في مكانٍ ما في ظروفٍ ما.

وحشة المتألم

لا تشكو للناس جرحًا أنت صاحبه لا يؤلم الجرح إلا من به الألم

السماع عن الظالم لا يؤلم ومن لا جرح له لا ينزف، مهما كتبنا أو كتب غيرنا عن الألم ومهما حاول الكتّاب والروائيون أن ينشروا حالةً من التأثير والتعايش لدى المقابل، من خلال وصف الألم في حالةٍ ما فإنهم سوف لن ينجحوا في أن يصلوا بالمتلقي حتى إلى الحدود الدنيا من الشعور بذلك الألم، نعم ربما يكون هناك تخيلٌ لدى المتلقي ولكن الشعور بألم الحالة لا، ولكن ربما ينجحوا في مسعاهم هذا، وهذا فقط إذا كان المتلقي قد ذاق طعم هذا الألم أو ما يشابهه في تجربته الواقعية، فيكون طرح الكاتب أو الواصف لحالة ألمٍ ما مجرد عملية تذكيرٍ لهذا المتلقي.

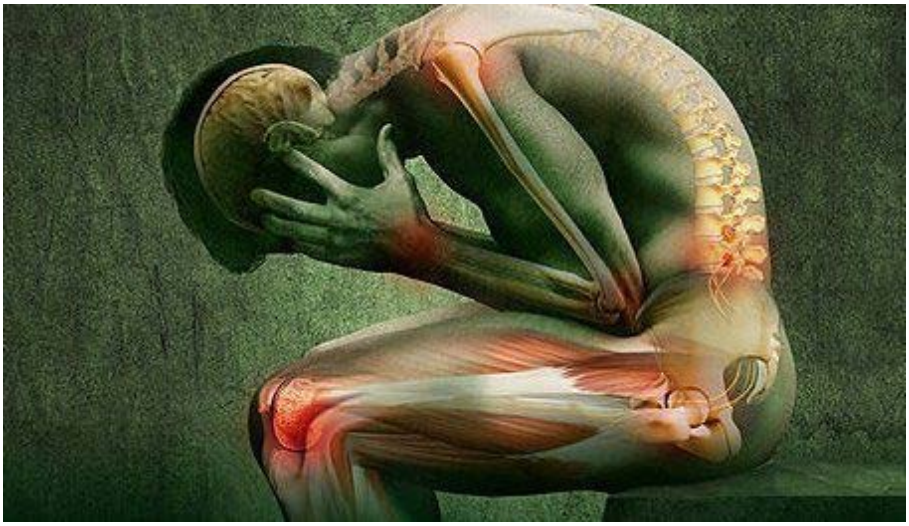

لا يمكن أن يشعر من لم يكوى بالنار بألم الكي، ولا يمكن أن يتصور العزيز ألم الذل مهما زاد التقريب وطال الوصف؛ نحن لا نستطيع أن نجعل القارئ يحس بمعنى أن هناك من يبيع الإنسان في هذا الزمان وبأبخس الأثمان، وهناك الكثير من الناس قد قرأوا في صحيفةٍ ما أن مئات الآلاف من البشر (وليس من الحيوانات) يموتون سنويًا بسبب الجوع، ولكن هذا الشخص يمر عليه رقم (مئات الآلاف) وكأنه رقم سيارةٍ تسير أمامه ليس إلا.

حصانة المقدّس

ليس فقط الإنسان يتألم في هذا الواقع، فالحيوان رفيقٌ للإنسان في الألم، ولكننا نركز على ألم الإنسان، إنه الأولى مطلقًا، ولأنه مصيبته الأعظم مطلقًا أيضًا.

وبمناسبة ألم الحيوان وإحساس الإنسان بالألم هذه حادثةٌ ضمن الموضوع، عندما كنت صغيرًا أتذكر أن لنا جارًا يعمل في جهاز الاستخبارات الصدّامي الرهيب، وهو شابٌ قوي البنية اسمه هادي، وهادي هذا لديه حديقةٌ في منزلهم يعتني بها كثيرًا، وفي أحد الأيام وجد هادي جحشًا صغيرًا قد عبث بالحديقة وأكل بعض الشجيرات، فما كان من هادي إلا أن ضربه بعمودٍ على رأسه فارداه ميتًا في الحال. ما لا أنساه أن الحمارة (أم الجحش الرضيع) بقيتْ ولمدةٍ تزيد على الأسبوع ويوميًا تأتي خلف الحديقة وتصدر صوتًا غريبًا حزينًا لم أسمعه من أي

حمارٍ رغم كثرة الحمير في المنطقة، وهذا الأمر أدّى إلى إزعاج كل الناس ومن ضمنهم (هادي) هذا كله صدر من حمارٍ ونحن نضرب المثل بقلة إحساس الحمار.

تُرى ما هو شعور الأم التي يُقتل وليدها وما مقدار الألم الذي يجتاح فؤادها وما أكثر من أصابهن هذا، وترى كم توسلت من والدةٍ إلى القدر لكي يبقي على حياة وليدها وكان الجواب كلّا.

إن أعظم ما بمصيبة الإنسان أنها لا تعطِ نصيبًا من الاهتمام من قِبل أخيه الإنسان، إن هنالك عوالم من الألم في مجتمعنا (رغم الحضارة المغرّرة) لا يمكن الإحاطة بها، وهناك آلامٌ أكبر من أن تُصوّر وهناك آلامٌ أغرب من أن تصدق، وهذا أبشع فصلٍ في هذه الحكاية المأساوية.

black
البط الأسود
ducks

برنامجٌ حواريٌ على اليوتيوب تدعم بعض حلقاته شركة Google، يهدف بالدرجة الأولى إلى إجراء الحوار مع الملحدين واللادينيين المصريين، والمتحدثين منهم باللغة العربية من مجتمعاتنا في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

فكرة وتنفيذ إسماعيل محمد

/theblackducks
goo.gl/EgjCs7
@blackducksshow
+TheBlackDucks

عباس عبّود

سوط الطبيعة

إنها الأم، وفي نفس الوقت هي الحلقة الأولى (تسلسلًا) في مسلسل الألم الإنساني، لأنها المحك الأول لتفاعل الإنسان مع هذا الواقع في نشأته الأولى. لقد كانت الطبيعة بظروفها كلها حلبة صراعٍ للإنسان في واقعٍ فرض هذا الصراع لأجل البقاء، حيث كان الإنسان يعاني ويُنذر كل طاقاته لأجل فتح الفتوح، ألا وهو سد الرمق، ويعاني ويعاني لأجل الوقاية من تقلبات مزاج هذه الطبيعة الجبارة وأدواتها المتجبرة القاسية، لقد كان الإنسان قشةً يتلقفها هواء هذه الطبيعة، ولطالما كان هذا الإنسان المسكين وجبة طعامٍ هو وأفراد عائلته لوحوشٍ عابرة.

لقد استعان الإنسان حتى بالخيال لأجل كسب ود هذه السلطة العظيمة، فاخترع الآلهة، وصدق هذا الخيال تحت ضغط الواقع، وقدّم القرابين تملقًا لها فقدم أفضل ما يملك من قوت، ولكن دون جدوًى، ثم قدم أفرادًا أعزاءً من مجتمعه، ولكن دون جدوًى أيضًا فالهوى هواها.

لقد أثبتت التجربة أن لا شيئًا روحيًّا أو خياليًّا يسعف الإنسان في ترويض هذه الطبيعة ومفرداتها، حيث أن عقله فقط هو ما أعانه على التغلب على بعض مصاعبها، فهو الذي سيده على الحيوانات، فأصبح يتسلى بوحوشها، وهو وحده الذي ذلل الكثير من مصاعبها، لكن حتى هذا العقل والخزين التراكمي الهائل من التجارب بقي عاجزًا أمام جوانب كثيرةٍ من جبروت هذا الواقع، لقد كانت بعض الأوبئة تبيد مدنًا بكاملها بأطفالها ونسائها وشيوخها ورجالها، وعلى الرغم من أن الإنسان قد قهر بعضها، إلا أن هناك مدنًا ودولًا في هذه الساعة تجتاحها أمراضٌ تقهر الإنسان.

لا أدري إن كان مضحكًا أم مبكيًا أن يموت مجتمعًا بأسْره جرّاء فيروس لعينٍ لا يُرى يقرض آلاف البشر بطريقة بشعة، حيث يتهاوى الإنسان تدريجيًا أمام هذا العملاق المتناهي بالصغر، وبملمحةٍ خاصةٍ دراماتيكية لا تخلو من ساديةٍ قدرية، هذه السادية فرضتها معادلات الواقع، ما أقسى هذا الواقع (سيد معادلة).

إن سيد معادلة هذا لا يتوانى عن صهر مدينةٍ بكاملها وتحويل كل البشر فيها إلى حجارة، لا لشيءٍ إلا لأن معادلة بركانٍ ما قد مالت نحو الانفجار في زمنٍ ما، ربما يتزامن مع حفلة زفافٍ وبعض المرح في تلك المدينة، وسيد معادلة هذا لا يتردد إذا مالت معادلة قشرة الأرض في أن يجعل ملايين البشر وما عمّروا يتراقصون رقصة الموت المرعب عند حدوث زلزال، ويتلذذ سيد معادلة بتحقيق معادلاته في الإعصار، حيث يصبح الإنسان فردًا وجماعةً كالريشة التي تطير في هذا الأثير المرعب، أو تطفو هذه الريشة فوق مياه فيضانٍ مجنونٍ مستهترٍ يبتلع البشر وما ادّخروه من أسبابٍ لمواجهة مزاج

عباس عبّود

سيد معادلة، إن انهيار مجتمعٍ بكامله بروابطه وأحلامه وأمانيه وأطفاله بهذه الطريقة التراجيدية لا يمكن أن يُوصف بالكامل ولا أن يستوعب مأساته إنسان، ربما يكون الربع مليون من الضحايا المنكوبين جراء تسونامي محظوظين، لأن العالم شاهد بعض صورهم وهرع لمساعدة المتضررين وعايش بعضًا من المأساة من خلال الصور، ولكن كم من مدينةٍ ضاعت في فصول مثل هذه المأساة بدون أن ترى عينٌ أو تسمع أذنٌ أو تُمد يد العون.

العوق والعلل

كل طاقات الإنسان العقلية والعلمية والجسدية والحسية تمت تعبئتها من قِبل الإنسان لكي يكون واقعه بالمستوى المطلوب من الإيجابية، ولكن رغم ذلك كله فإن هناك هذا الكم الهائل من الألم، فما بالك إذا كان هذا الإنسان مقيدًا بالعجز أو العوق، وكيف يكون حجم المأساة حينها على الإنسان العاجز هذا، وكيف يستطيع هذا الإنسان المسكين أن يواجه الواقع القاسي وهو أساسًا فاقدٌ لطاقاتٍ أساسيةٍ في ذاته جسديةٍ أو نفسية، حينها تتضاعف المأساة وتستفحل فصولها فيصبح اليسير أمرًا عسيرًا، وتصبح عملية قضاء الحاجة مثلًا مهمةً شاقةً، لأن القدر قضى بأن يكون إنسانًا ما معاقًا، أو تصبح عملية مشاهدة المرأة لابنها الوليد عمليةً مستحيلةً لأن سيد معادلة قضى بأن تكون هذه المسكينة عمياء.

إن هذا النوع من الألم يتعدى عوق الأطراف وعوق حواس الإنسان من سمعٍ وبصرٍ ونطقٍ ليصل في أحيانٍ كثيرةٍ عوق الخلقة إلى تشويهٍ بشعٍ في هذا الجسم، إما ولاديًا أو جراء الحوادث فأصبحت عاهاتٍ مستديمةً، فيكون هذا الجسد بلاءً على الإنسان في شكله، مثل التقزم أو التشويه، بل إن البعض يملك من الوجه القبيح ما يجعله قريبًا إلى التشويه وعندها تبدأ رحلةٌ مُرةٌ في التعامل مع هكذا حالات.

حصانة المقدّس

عباس عبّود

ويمتد هذا الوحش المؤلم ليطال أفضل ما يملك الإنسان، فيصاب عقل الإنسان بالعوق، أي أن هذا الوحش يلتهم حتى أفضل ما يملك الإنسان من سلاحٍ وهو العقل، فيحيل الإنسان إلى جسدٍ بلا عقل، أو عقلٍ يصحوا حينًا ويعود لمتابعة كارثة الحالة العقلية المرضية أحيانًا، ولكي تكتمل هذه السلسلة المقيتة تصاب النفس البشرية بأمراضٍ لا تُحصى وبدرجاتٍ متفاوتة، وألم المرض النفسي يفوق آلام الجسد في بعض الأحيان، وهنا يستمر سيد معادلة في لعبته الرهيبة حيث يترنح الإنسان المريض نفسيًا بين واقعٍ مرٍ وتخيلاتٍ أكثر مرارةً، وحينها يصاب الإنسان في جوهره في هذا البلاء.

إن الحالات التي ذكرناها في أغلب الأحيان ليست طارئةً، وإن كانت الحالات الطارئة (التي تجاوزناها) والمتمثلة بالعلل الطارئة الكثيرة التي تصيب كل إنسانٍ في حياته، علمًا بأن هذه العلل الطارئة كانت معضلةً للإنسان قديمًا، عندما كان هذا الإنسان يموت بسبب حمًّى طارئةٍ أو حالة ولادةٍ نتيجةً لعدم وجود المعالجة والرعاية الصحية، وهذه الحالة موجودةٌ حتى اليوم وإن كانت حدتها قد خفت.

إن الكثير من الحالات المرضية غير قليلة الألم أو الأثر السلبي، وإنما هي رحلةٌ من العذابات تستمر حتى النهاية وتحيل حياة الفرد إلى جحيم، أي أنها مثل المرض المزمن، وبالمناسبة فإن هناك أمراضًا جسديةً كثيرةً مزمنةً يعلمها الجميع، مثل داء السكر وارتفاع ضغط الدم وغيرها من هذه القائمة المفتوحة التي تصل إلى الحساسية المرضية المفرطة، إن هذه الأمراض لا تقل ضررًا وألمًا عن العوق، وهي نمطٌ من أنماط السجن المقيت.

إن ألم الإنسان هنا بسبب العوق والمرض يتمدد ليشمل الأسرة أو الأحبة اللذين ابتلي فردًا منهم بالعوق أو المرض، وهنا يبدأ هؤلاء رحلةً من القلق والخوف والحزن على المنكوب.

إن ما يؤلم أكثر في أنماط الإعاقة والمرض المذكورة هو الألم النفسي المضاعف الذي يشعر به الإنسان المبتلى، حيث أنه يشعر بالغبن والنقص، وهذا بحد ذاته أكثر إيلامًا من الحالة النفسية ذاتها، بل إن حتى نظرة الشفقة التي ينظر بها المجتمع إليه ربما تؤذي الإنسان كثيرًا، لأن الإنسان بطبعه لا يحب أن يكون مثارًا للشفقة.

ولكن توقفوا، في كل الأحوال، نحن لم نتطرق إلى مأساة أهل المعاق أو العليل ورحلة العذاب مع ابنهم ومُداواته، وماذا يكون حجم المأساة لو كان المرض مُعديًا، وماذا عسى أن يشعر هذا الإنسان المبتلى بالعوق أو العلة إذا نظر إليه البعض نظرة الاستهزاء والانتقاص وهذا يحصل كثيرًا؟؟

عباس عبّود

الإنسان جلّاد الإنسان

لا يمكن إحصاء المفارقات في هذا الواقع، المضحك فيها والمبكي، ولكن بلا أدنى شكٍ يمكن اعتبار ظلم الإنسان للإنسان هو المفارقة الأغرب والأشد إيلامًا، خصوصًا وأن هذا الظلم هو اللون السائد الأكثر سوادًا والأعظم إطلاقًا إذا ما قارناه بمصادر الألم الأخرى في الواقع. لقد تسيد الألم الذي يسببه الإنسان للإنسان معظم الساحة ولم يبق سوى مساحةٍ قليلةٍ احتلتها الطبيعة بشكلها المباشر.

إن المصلحة الشخصية والتعصب للذات والجماعة هو الأساس السيكولوجي الذي انطلق منه الإنسان لتحقيق إسقاطات هذا الأساس السيكولوجي، حيث ترسخت مفاهيم اضطهاد الآخر حد الاستعباد في ثنايا الواقع الإنساني، وتجذرت سلبيات قانون الغاب في سلوك الإنسان بالشكل المباشر أو بالامتداد، مثل إخضاع الآخر فردًا وجماعةً وتحت شعار القوم أو القبيلة أو الأيديولوجية أو العرق، ومثل استلاب الآخر وكبت الآراء والمعتقدات ومحو الهوية الفكرية أو القومية أو الدينية وصولًا إلى حد التطهير العرقي والتغيير الديموغرافي، وكل هذا ساد في واقع الإنسان بعناوين ومفاهيم متماهيةٍ ونسبيةٍ في أحيان، وحديةٍ ومطلقةٍ وسافرة الشعار ومعلنةٍ التوجه في أحيانٍ أخرى.

بل إن هذه الآلة السلبية العملاقة قد قامت بالالتفاف والاستحواذ حتى على التنظيرات الإيجابية، فالأديان مثلًا في أجزاءٍ منها بدأت كثورةٍ على الاضطهاد والأنانية، ومع مرور الوقت حصل انقلابٌ أسْود على بعض النقاط البيضاء في هذه الثورة وعاد الاضطهاد والتعصب ولكن هذه المرة باسم الدين، وكذلك نحن نعاصر مثل هكذا التفافًا سلبيًّا على النظام الديمقراطي الحديث ومؤسسات المجتمع المدني، حيث نجد التوجيه النفعوي والفئوي لهذه النظم الإيجابية والالتفاف على غاياتها الإيجابية التي تأسست من أجلها.

إن هذه المفاهيم بأبعادها السلبية قد كانت بحقٍ الغشاء الأسود السميك الذي حجب الضمير الإنساني والسجن الذي قيّد فاعليته بدرجةٍ كبيرة، إن أخطر مراحل هذه الأزمة هو تعشق هذه المحركات السلبية في عادات وتقاليد وأعراف وثقافات الإنسان، وهذا ما جعل إسقاطاتها ذات امتداداتٍ مفتوحةٍ في الواقع الإنساني، وهذه الامتدادات هي التي جعلت من الواقع معملًا عملاقًا لصناعة المجرمين بالنهاية وكذلك سلبيات أداء الإنسان.

علينا أن نعي أن هذا المعمل العملاق لازال وسيبقى ينتج الإجرام والمجرمين سواءً أكان الإجرام ارتجاليًا أو إجرامًا ينتمي إلى تنظيرٍ معين. إن هذا الفصل من فصول آلام الإنسان هو الفصل الأكثر وجعًا لأنه الأكبر حضورًا ولأنه يتأتى من ذات الإنسان، إن الإنسان بهذا يكون اليد الأقذر التي ضربت أخاه الإنسان، ولكن علينا ألّا ننسى أن الإنسان نتاجٌ لمعادلات الواقع، أي إن السبب دائما في كل الألم هو الواقع، فالألم سواءً أكان صاحبه ظالمًا أو مظلومًا هو في النهاية ألم، وفي النهاية أيضًا المهندس واحدٌ وهو سيد معادلة.

حصانة المقدّس

عباس عبّود

إن الركائز السليبة المتينة التي أشرنا إليها والحاضرة في واقع الإنسان ماضيًا وحاضرًا، هي التي أسست لبناء قاعدة انطلاقٍ عامةٍ سلبيةٍ توجه الكثير من سلوكيات المجتمع أفرادًا وجماعات، وهذه القاعدة هي "قانون الغاب"، علمًا بأن هذه القاعدة متوافقةٌ مع قوانين الطبيعة.

غير أن قانون الغاب في غابة الإنسان أبشع وأخطر وأعظم من قانون غاب الحيوان، لأن الإنسان لا يفترس لكي يأكل فقط، وإنما لكي يتسلى في بعض الأحيان، أو فقط لفرض رؤيةٍ ميثلوجية في أحيانٍ كثيرةٍ أخرى، وكذلك لأن قسوة الإنسان لا يمكن أن تقارن بها قسوة أي مخلوقٍ آخر. ينبغي أن نشير هنا إلى حقيقةٍ غريبةٍ وقاسية، وهي أن الإنسان هو الوحيد من الكائنات الحية الذي يمثل الخطر الأول والأعظم على نوعه.

إذن قانون الغاب هو المنطلق الذي انطلق منه الإنسان لاضطهاد أخيه الإنسان حتى وصل الأمر لامتلاك إنسانٍ هو وعائلته وذريته كما تُملك المواشي، بل ويباع بالأسواق كما تباع الطماطم، وهنا تكون القوة هي المقياس لتحقيق الغلبة، والقوة مفهومٌ عامٌ له مصاديق مفتوحةٌ تبدأ بقوة العضلات وتمر بقوة العدة والعدد ولا تنتهي بقوة الذكاء. في هذه المعادلة التي فرضها سيد معادلة تكون الدوافع مختلفةً والآليات مختلفةً والأطراف مختلفةً ولكن النتيجة واحدة، وهي أن هناك دائمًا غالبٌ ومغلوب، ظالمٌ ومظلوم، وربما تتبدل الكراسي ويصبح الظالم مظلومًا والعكس، ولكن في كل الأحوال الغالب دائمًا هو سيد معادلة، لأن معادلته هي المعادلة الأشمل والتي تتحقق دائمًا، وهو الظالم الأكبر دائمًا.

إن تطبيقات هذا المنطق تملأ الواقع البشري، حيث أن القهر والاضطهاد وإخضاع الآخر تؤطر كثيرًا من ممارسات الإنسان، وتبدأ فصول المأساة من ممارساتٍ فرديةٍ تجاه فردٍ آخر وحسب الظروف والمجتمع، حيث يقوم فردٌ قويٌ وفقًا لأحد مقاييس القوة باضطهاد الآخر لسببٍ أو لآخر لأجل الإخضاع أو السلب أو الإذلال والقهر أو سلب الإرادة.

وتكبر المأساة لتصبح اضطهاد مجموعةٍ لأخرى أو فئةٍ لأخرى أو قوميةٍ لأخرى أو أيديولوجية لأخرى أو حتى جنسٍ لآخر، وحسب قوانين هذه الغابة يُستعبد الأطفال مثلًا في أحيانٍ كثيرةٍ ويُسخَّرون في أعمالٍ شاقةٍ وتُسلب حقوقهم ويتعرضون للضرب والتعذيب وحتى الاغتصاب والقتل، بل ويباع الكثير منهم، والاستعباد والاضطهاد يتعدى الأطفال المستضعفين فيطال الرجل الأسود والمرأة السوداء، فتُستعبد وتُضطهد شعوبًا لأنها سوداء، ويستمر المسلسل ليبتلع حتى البِيض، فتُستغل وتُضطهد قبائل لأنها ضعيفة، بل إن هناك شعوبًا لا تحصى تم استعمارها واستعبادها لأنها ضعيفة.

ولأن المرأة ضعيفةٌ نسبة لمقاييس القوة العضلية، لذلك يتم إخضاعها من الرجل، وتجذرت مفاهيم ذكوريةٌ فعالةٌ في واقع الإنسان قديمًا وحديثًا عند الكثير من المجتمعات، وبالنتيجة سُلبت المرأة من الكثير من حقوقها واعتُدي عليها وأُهينت كرامتها وتمت المتاجرة بها.

عباس عبّود

صداماتٌ كارثية

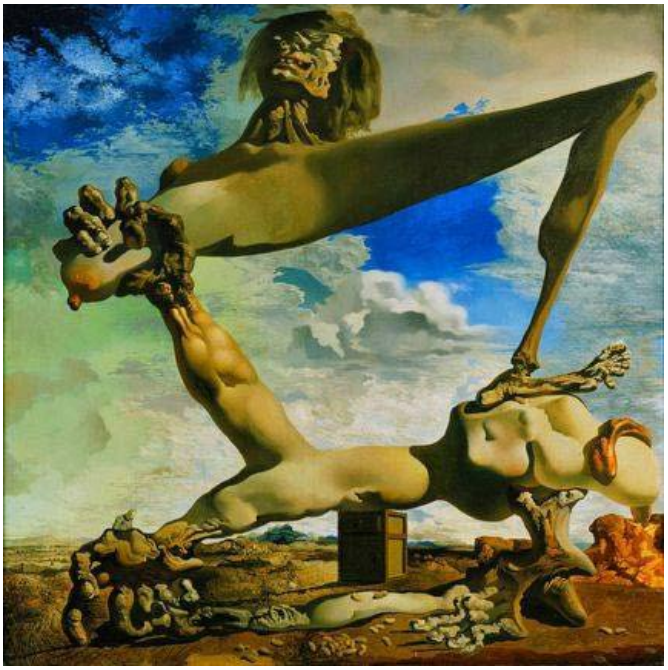

إن مجمل العوامل السلبية الأساسية التي أشرنا إليها، والتي انطلق منها الإنسان لظلم أخيه الإنسان، قد تجسدت في أبشع صورها ومراحلها في صداماتٍ عنيفةٍ بين بني البشر، ومع قلة نفوذ العقلانية والمبدئية الأخلاقية في قرارات الإنسان ومواقفه المشحونة بالتعصب للذات والجماعة، فإن النتيجة كانت كارثةً على الإنسان، فقد تحول واقع الإنسان وعبر كل مراحله إلى ساحات وغًى دمويةٍ تتقطع فيها أشلاء الإنسان وتدمّر فيها مواطن العمران وتستفحل فيها المآسي والآلام وتصبح فيها أمنيات الطمأنينة والرفاه هباءً منثورًا؛ لقد تجسد المفهوم العام لمصاصي الدماء (الدراكولا) في هذا الواقع الإنساني المرير، حيث أن هنالك مجاميع وقبائل وطوائف وشعوبًا تم الاستيلاء عليها وافتراسها فقُتل الرجال وسُبيت النساء واستُعبد الأولاد وسُلبت الأموال.

هذه الجرائم الجماعية والصدامات الكارثية كانت فيها الشعوب والعامة عبارةً عن دمًى تحركها دائمًا أيادٍ خبيثةٌ قليلة، وتتم عمليات التحريك عادةً عن طريق عمليات غسل دماغٍ تُحوّل الإنسان إلى آلةٍ للقتل مجردةً من كل المشاعر الإنسانية أو القرار الشخصي، ويتحول الإنسان حينها إلى ثورٍ هائجٍ لا يرى إلا الدم الأحمر المثير في قلب العدوّ .

إن عمليات غسل الدماغ هذه تستند في معظم الأحيان إلى إثارة الكراهية تجاه العدو عن طريق حِس الجماعة المتلون بألوان القومية أو العرق أو المعتقد، حيث شُنت حروبٌ لا تحصى بسبب الانتماء القومي أو بسبب الأصل العرقي أو بسبب الدين والمعتقد. لكن حصة الأسد في التعبئة للحروب تبقى دائمًا هي المصالح، سواءً أكان هذا السبب معلنًا عنه بشكلٍ صريحٍ كما في العصور القديمة، حيث تُشن الحروب للاستيلاء على الآخرين بشكلٍ صريحٍ وسافر، أو يكون هذا السبب متخفٍ تحت أقنعةٍ شتى.

إن الكارثة والمفارقة هي عندما كانت نزواتٌ شخصيةٌ بحتةٌ هي السبب في إشعال حروبٍ شرسة، أو تخبطّ مجنونٍ ما يجلس على سدة الحكم فيزرع بذور فتنٍ يسقط معها آلاف الأبرياء وكأنهم أوراق شجرٍ في خريفٍ حزين، كما كان مريضٌ تافهٌ وحاقدٌ اسمه هتلر سببًا في قتل عشرات الملايين من البشر وإشعال العالم بأسره وتلويع مئات الملايين وخسارة موارد وطاقاتٍ لا تحصى، أو قد تكون أعرافٌ متخلفةٌ هي السبب، فتستمر حربًا مثل حرب البسوس أربعين عامًا من أجل ناقة. لقد استغل الإنسان طاقاتٍ جبارةً وعقولًا خلاقةً وأموالًا طائلةً لكي يسحق أخاه الإنسان بدل أن تُعبأ هذه الطاقات لخلق

عباس عبّود

حالةٍ من التكامل الإنساني وصولًا للمصلحة الإنسانية العامة. ماذا عسانا أن نقول وقد حكم سيد معادلة بأن تصبح هذه الطاقات سكينًا يذبح الإنسان، ومولّدًا عملاقًا للدموع والأحزان، وهنا الضحية والجلاد هو الإنسان.

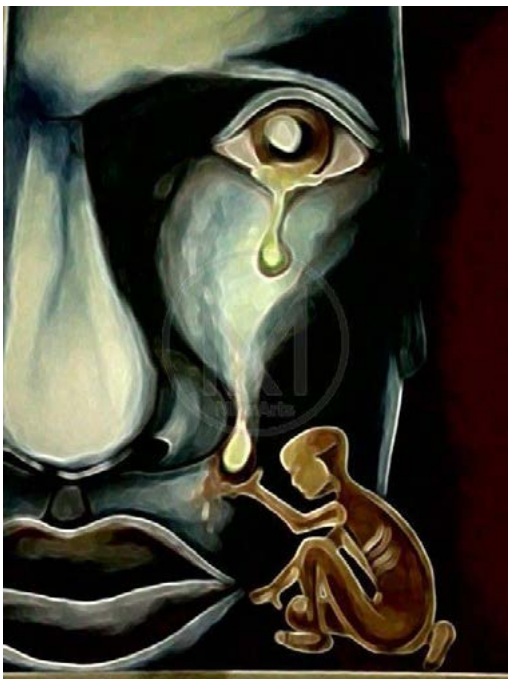

الفقر

الانفجار النووي وكما يعرّفه العلماء هو تفاعلٌ تسلسليٌ يبدأ من تفاعلاتٍ انشطاريةٍ تتفاعل نواتجها مع المزيد من النوى، ونتائج تلك مع غيرها وهكذا، حتى يكون ناتجها مجتمعةً انفجارًا نوويًا. وقد تحدث حالةٌ مشابهةٌ للانفجار التفاعلي التسلسلي ولكن بجسم الإنسان، حيث تتكاثر خلايا الجسم بشكلٍ سلبيٍ مَرضيٍّ وبشكلٍ تضاعفيٍّ وهذا ما يسمى بالسرطان، حيث يؤدي هذا التكاثر السلبي إلى نخر أجهزة الإنسان الداخلية؛ إلا أن هناك ثمة ما يشابه التفاعل التسلسلي والتكاثر السرطاني ولكنة هنا يصيب واقع الإنسان وهذا ما يسمى الفقر.

الفقر ليس حالةً محددةً أو حاجةً زائلةً مكبوتةً، وإنما هو عنوانٌ عامٌ عريضٌ لعالمٍ مفتوحٍ من الألم، إن الغنى أو التمكن المادي هو (فيزا) لدخول عالم إشباع الرغبات والخلاص من الألم بصورةٍ عامة، والفقر هو هويةٌ لدخول معسكر الحرمان، فعدم امتلاك المال هو كالتفاعل التسلسلي، إذ انه يعني عدم القدرة على تحقيق بعضٍ من الرغبات البسيطة للنفس والأبناء والتي تبدو أمانيًا طوباوية وبحكم المحال بسبب العوز، وهو يعني الأعمال الشاقة، وهو يعني مجمل ظروف المعيشة القاسية، ويعني قلة الجاه وإمكانية التعرض للإذلال والامتهان وغصب الحقوق من أي كان، ويعني عدم وجود الرعاية الصحية المناسبة وبالنتيجة آلام جسديةٌ تُضاعف من حجم المأساة، وكل هذا بدوره سيولّد تفاعلًا تسلسليًا آخر، فالعجز المادي هنا يؤدي إلى مشاكل اجتماعيةٍ شبه مفتوحة، ويؤدي إلى زرع الألغام بين الأزواج، ويؤدي إلى عدم القدرة على تربية الأبناء التربية الصحيحة المقبولة أو منحهم التعليم أو التثقيف المستحق، وهنا سيتم التأسيس لحالةٍ سلبيةٍ جديدةٍ تتعلق بجيلٍ جديد.

إن كارثة الفقر هي أنه يتعدى الظلم المباشر الناجم عن عدم القدرة على إشباع الرغبات، ليصل إلى تسبيب حالات ألمٍ أخرى تفتح الباب لأخرى وهكذا، بالإضافة إلى نخر الجانب النفسي للإنسان بحيث يصبح هذا الشخص وبسبب الكبت والحرمان والذل عبارةً عن شخصٍ كارهٍ لكل الواقع ومتمردٍ عليه ومتشنجٍ في معظم سلوكه وقراراته، وهنا يصبح هذا الشخص قنبلةً جاهزةً للانفجار والتسخير من قِبل البعض.

الفقر هو داء الإنسان الأول، مع أنه نسبيٌ ومتغير الدلالة من مجتمعٍ إلى آخر ومن ظرف إلى آخر، إنما جوهره واحدٌ،

عباس عبّود

فهناك مجتمعات الفقر فيها هو عدم القدرة على تحصيل الطعام أو المأوى، وهذا الفقر هو اللون الذي ساد في المجتمع البشري منذ القِدم وحتى يومنا الحاضر، وهناك مفهومٌ آخر للفقر عند بعض المجتمعات يتمثل بعدم القدرة على إشباع رغباتٍ تتجاوز رغبة البقاء، ولكنه في النهاية يبقى ألمٌ وفقر.

خمسة بالمائة من البشر يملكون خمسة وتسعين بالمائة من ثروات العالم، بينما يعيش معظم سكان العالم تحت خط الفقر، أي معظم البشر فقراء، والفقراء أناسٌ يحتارون فيما يملؤون به بطون أبنائهم كمًا أو نوعًا أو كلاهما، ولا يملكون مأوًى حقيقيًا يأوون إليه، وعندما تدخل إلى بيوتهم لا تحسب أنها مسكونة، فلا أثاث ولا أسباب معيشةٍ ولا هيكلٍ يمكن أن يقال عنه أنه بيتٌ فعلًا وإذا كانت هناك حرمةٌ للبيوت فكأن هذه البيوت بلا حرمة.

نحن لا نتكلم عن شواذٍ من الحالات، وإنما عن قاعدةٍ عريضةٍ سائدة، هناك شعوبٌ هذا واقعها في هذا اليوم، وهناك شعوبٌ في هذا اليوم أيضًا أفضل ما قد يحصل للشخص فيها هو أن يعمل خادمًا في دولةٍ أخرى غنية، ترى كيف هو الحال في الماضي وترى ما هو حجم السرطان وما فعل بالإنسان، وترى ما هو شعور سيد معادلة بتحقيق معادلته، والجواب ليس لدية شعور لأنه لا يشعر.

الحرمان العاطفي

الحب والرعاية، الاهتمام، التعاطف، إنها عناوينُ أساسيةٌ تمثّل حاجةً نفسيةً بشريةً عظيمةً في دواخل كل إنسان، وما دام هذا الإنسان قد لاقى ما لاقى من القَدر من أسباب الألم، فهذه العناوين كانت بدورها مواطن حرمانٍ وألمٍ عظيمٍ له.

إن الركائز السلبية العامة في الكثير من معادلات الواقع والمفاهيم والمنطلقات المتعصبة والنفعية وقانون الغاب، قد فرضت كلها واقعًا عاطفيًا فيه الكثير من ركائز الألم العاطفي في هذا الواقع. إن معظم المجتمعات البشرية بالنتيجة كانت سلبيةً وفوضويةً في تعاطيها مع مشكلات وحاجات الإنسان العاطفية أفرادًا وجماعات، ولذلك لم يحصل الإنسان في الكثير من المَواطن على التعامل الإيجابي المطلوب معه كإنسانٍ له كيانٌ معينٌ وصفاتٌ معينةٌ واهتماماتٌ ورغباتٌ عاطفيةٌ معينة، أي أن البناء الأيديولوجي والعُرف الاجتماعي للمجتمعات البشرية قد فرض نمطًا سلبيًا وغير موضوعيٍ في التعامل مع الفرد ورغباته العاطفية بالإضافة لضرورات الواقع وسيادة مفاهيم العنف والقسوة والغلظة إلى درجةٍ أصبحت معها رقة الأحاسيس والليونة والتسامح عيبًا وضعفًا، وبالتالي فإن معظم البشر لم يحصلوا على التعامل الذي يوفر الحد المطلوب من التعامل العاطفي الإيجابي وساعد ذلك كثيرًا في قساوة الواقع الحياتي للإنسان.

وهذا الأمر يتجاوز الحالات الخاصة مثل معاناة أشخاصٍ ما من فقدان التعامل الودي من قِبل الأم والأب أو الأصدقاء وما شابه، إذ أن الأمر هنا يدخل في وضعياتٍ شاملةٍ وعامة، كالعرف السلبي مثلًا، ويدخل في مرحلة التعامل السلبي

حصانة المقدّس

عباس عبّود

العاطفي مع جنسٍ معينٍ مثل المرأة، وهكذا تتعمم الحالات وتكبر دائرة الحرمان العاطفي من دفءٍ وحبٍ وحنان.

يعتبر البعض الجنس هو العامل الأكثر حضورًا في بواطن الإنسان ومحركًا للكثير من فعالياته، وهنا تجدر الإشارة إلى أن الجنس ببعديه العاطفي المجرد والجسدي، هو فعلًا مصدر شقاءٍ حقيقيٍ وعظيمٍ للإنسان، وكما أن الجنس هو سبب الحياة المباشر وسبب استمرارية النوع البشري،

فهو أيضًا سببًا مباشرًا لمعاناةٍ بشريةٍ قاسيةٍ وحاضرةٍ على مر العصور، إنه آفةٌ لا تشبع تقض مضجع الإنسان ولطالما كانت هذه الآفة سببًا لمآسي أفرادٍ سواءً كغريزةٍ أو كحبٍ عذري، والذي هو بالتالي نمطٌ من أنماط العاطفية الجنسية، وطالما أيضًا كان هذا الشعور الجارف سببًا للتمرد على الدين أو العرف أو كان سببًا لخيانة شخصٍ عزيز، ولطالما كان السبب في فقدان أشخاصٍ محترمينٍ أو مسنينٍ لتوازنهم في المجتمع. إن عِظم هذا الشعور وقسوته وشدة حضوره في واقع الإنسان قد بوّأه مكانًا متصدرًا في اهتماماتٍ سلبيةٍ مالت إلى جهة الكبت في أحيانٍ كثيرة، الأمر الذي أدّى إلى تولد فجوةٍ عظيمةٍ بين شدة الرغبة من جهةٍ والحكم العرفي أو الديني من جهةٍ أخرى، وهذه الفجوة أدت إلى فوضًى وتناقضٍ ومشاكل لا تحصى في هذا السياق.

وللحقيقة كانت المرأة صاحبة القسم الأعظم من هذه المعاناة، ففي الكثير من المجتمعات ماضيًا، وحاضرًا، كانت المرأة بين نار العاطفة والغريزة إذا كبتتها، وبين نار الأسرة والمجتمع إذا أطلقت لها العنان، وفي هذه المجتمعات كثيرًا ما يُعتبر الرجل مفخرةً إذا حصل على الحب أو مارسه، بينما تكون المرأة عارًا وهدفًا للعقاب الشنيع إذا فعلت المِثل. كما أن المرأة عانت كثيرًا أيضًا من التمييز الجنسي، فالذكر مدللٌ ويُمنح كل الحب والرعاية، وليدًا مَثار تهنئةٍ أو كبيرًا مثار احترام، أما المرأة فمثار نقصٍ نسبيٍ في معظم الأحيان.

لا يمكن كبت هذه الرغبة الجامحة، ومن نجح في الكبت(وهم قلة) قد دفعوا ضريبةً عظيمةً وهي اختلال الشخصية، إذ أن عدم الحصول على الحب من الجنس الآخر عاطفةً وممارسةً، أو منع الاختلاط يؤدي بالتأكيد إلى تشنج النفس وقساوتها وتطرفها، وهذا نتاجٌ طبيعيٌ لأي حرمانٍ نفسيٍ بصورةٍ عامة.

ما لا يعلمه الكثيرون أن هناك مجتمعاتٍ موجودةً حتى في زمننا الحاضر تفصل بشكلٍ شبه كاملٍ بين الجنسين، حتى أن من يصادف أن يكلم الآخر من ذكرٍ أو أنثى فأنه يرتجف ويتلعثم، ولا يلتقي بالجنس الآخر لقاءً عاطفيًا إلا عن طريق ارتكاب خطيئة الاتصال بالجنس الآخر أو عند الزواج لمن تمكّن. إن هناك أناسًا ماتوا ولم يسمعوا كلمة حبٍ واحدةٍ من

عباس عبّود

الجنس الآخر أو ما توا ولم يتزوجوا وكانت هذه الأمور أحلامًا بالنسبة للكثير منهم.

إن هذا الكبت الرهيب والسلبي للجنس والعواطف قد قابله نوعٌ من التطرف الإباحي في بعض المجتمعات، وهذه الإباحية المطلقة هي نمطٌ من أنماط التخبط في التعاطي معه، بالنتيجة أصبحت الأسرة مهددةً ككيانٍ اجتماعي، وغدا الانحلال الأسري شائعٌ بل إن التخبط وصل إلى إباحة زواج مثليي الجنس وإشاعة الثقافات الجنسية الشاذة، والتي بدأت نتائجها السلبية المتوقعة على الأسرة تُؤتي أُكلها بشكلٍ واضحٍ ومعلومٍ للجميع.

لقد نجح سيد معادلة في حرق الإنسان من الداخل بهذه الرغبة العارمة في الحصول على الحب والرعاية بمفهومهما العام من حيث تعامل مجمل المجتمع معه في الأسرة أو في الخارج، أو بمفهوم التقارب العاطفي والغريزة الجنسية، بل إن سيد معادلة هزأ بالإنسان حينما جعله أكثر الكائنات الحية معاناةً بسببها وأقلها حصولًا عليها، إلى الدرجة التي جعلت بعض البشر يحسدون الحيوان على هذا.

التمايز البشع

لاشك أن الألم والحرمان وقعهما قاسٍ جدًا على الإنسان، ولكن هناك حالةً سلبيةً أخرى ملازمةٌ للكثير من حالات الألم والحرمان، وهي لا تقل في مقدارها عن حالة الحرمان والألم من ناحية وقعها السلبي، وهذه الحالة هي التمايز، فالإنسان يؤمله الحرمان، ولكن إحساسه بألم الحرمان هذا يرافقه إحساسٌ بألم الحيف عندما يشاهد إنسانًا مترفًا، وهنا أصبح الألم مضاعفًا، إن الإحساس بالغبن يكون مؤلمًا في أحيانٍ كثيرةٍ أكثر من ألم حالة الحرمان ذاتها، كما أن تطور وسائل الاتصال والإعلام (كالتلفاز) زاد من حجم المأساة هذه، إن الناس أصبحوا يشاهدون موارد الترف ومظاهر الغنى الفاحش ومواطن الجمال وكل ما يرغب به الإنسان بشكلٍ جليٍّ ومحسوس، وهذا زاد من ألم الحرمان وألم الغبن والتمايز. أي أن الألم ذاته له انعكاساتٌ مؤلمةٌ أخرى على ذات الإنسان تمتد باتجاهات متعددة.

إن الواقع مليءٌ بحالات التناقص والتمايز الرهيبة بين البشر، وهذه مصيبةٌ أخرى، فبين قمة الجبل الشامخة وغور الوادي ثمة ألم فقيرٍ يترصد ذلّه أمام عز الأغنياء، وعليلٌ يتحسر على صحة الآخرين، وقبيحٌ يحسد جميل الطلة، وذو عقمٍ يذهله جزع آخر من كثرة الولدان.
إنها معزوفةٌ مميزةٌ جديدةٌ لسيد معادلة. إنها معزوفةٌ يخاف فيها أناسٌ من المشي على المرمر، ويشتري آخرون الخوف بالمال، لأنهم سأموا الرتابة فقد انحنت لهم الحياة بشكلٍ مُبالغٍ فيه وباتوا يبتغون الإثارة والتشويق، إنها معزوفةٌ مميزةٌ إلى درجةٍ يكفى فيها ثمن أحذية أباطرة المال لإشباع شعب، وتكفي فضلات حفلاتهم لإشباع شعبٍ آخر.

حصانة المقدّس

عباس عبّود

هناك أناسٌ في لحظةٍ ما وفي ظرفٍ ما كانوا بين خيارين بين رقمين من أرقام اليانصيب أحدهما يجعله يخسر ثمن البطاقة ولا يجني سوى الألم على هذه الخسارة البسيطة والمؤثرة بوضعه المادي، وبين آخر قضى القدر أن يختار رقمًا ما ليكون غنيًّا، إنها الحتمية، إنها الحياة بكل تناقضاتها وجنونها وتطرفها، ثلةٌ وُلودوا ليكونوا ملوكًا، وشعوبٌ كُتب عليها القهر والاستعباد،

إنه يانصيبٌ حتميٌ يربح فيه واحدٌ ويخسر ملايين. لابد هنا أن نشير إلى مقطوعةٍ رهيبةٍ في هذه المعزوفة، مقطوعةٌ خاصةٌ بفئةٍ خاصةٍ من الناس، وهؤلاء وبِغضّ النظر عن مصادر الألم العامة فإن لهم مصدر ألمٍ خاصٍ خبيثٍ ومفزع، إنه سوء الطالع حيث أن هناك أناسًا يلازمهم النحس في الكثير من مفردات حياتهم، وهؤلاء مميزون في تعامل القدر معهم، إذ أنه يبدو وكأنه يتربص بهم ويترصد لهم ويقضي بأن يكون الفشل هو الخاتمة الطبيعية لرغباتهم ومشاريعهم وبصورةٍ غريبةٍ خارجةٍ عن المألوف ومعدل الاحتمالات الطبيعية، حيث أن النحس هذا يرافقهم كظلهم إلى درجةٍ يكونوا معها معروفين في محيطهم بأنهم منحوسون، وحيث يبدو سعي المنحوس عبثًا أمام مصيرٍ حتميٍّ اسمه الفشل، حتى يشعر بأنه في سجنٍ خانقٍ لا خلاص منه.

أي أن الأسباب الطبيعية والمألوفة للألم، وعلى الرغم من عظمتها، لم تكفي سيد معادلة فكُتب على هؤلاء أن يتألموا بأسبابٍ إضافيةٍ غير طبيعية، وغريبةٍ في أحيانٍ كثيرة. وعلى الرغم من أن البعض يحاول نكران وجود سوء الطالع، إلا أن الواقع وتجربة الكثيرين تثبت ذلك علميًا، والقصص حول هذا الأمر موجودةٌ وبكثرةٍ وشهودها في كل زمان ومكان.

إن مسلسل مأساة الإنسان يستمر وتتلاحق فصوله، ويطل علينا فصلٌ بآلامٍ مضاعفةٍ أخرى، وهذه الآلام هذه المرة تتعلق بطبيعة تعامل الناس مع مآسي وآلام الآخرين، فبدل المواساة نجد أن الكثير من البشر ينظرون إلى صاحب الابتلاء بنظراتٍ سلبية، فمرةً يقال عنه بأنه يستحق هذا لسببٍ أو لآخر، حتى ذهب البعض إلى القول بأن المعوّق مثلًا فعل سوءًا قبل هذه الحياة فاستحق ما ألمّ به، والبعض يقول بأن هذا الإنسان قد اقترف في حياته أمرًا ما استحق معه هذا البلاء.

إن الكارثة هي أن هناك أناسًا يشعرون بالعار إذا كان قريبهم مبتلًى بمصدر ألمٍ ما كالعوق أو الفقر، إلا أن الكارثة الأكبر هي أن يتصرف البعض باستعلاءٍ وإهانةٍ تجاه المساكين المبتلين، وهؤلاء وبغرورٍ منحهم إياه سيد معادلة يتصورن بأنهم أرفع مقامًا من غيرهم، بل هناك ما هو أبشع، إذ يعمد هؤلاء المحظوظون إلى التباهي والاستعراض بهذه (النعم) القدرية أمام المحرومين (تحديدًا) بقصد الترفع، وبمقدارٍ واضحٍ من الرغبة السادية في زيادة ألم المقابل.

عباس عبّود

المصير المخيف

كأن سيد معادلة لم يكتفِ بوابل الآلام التي تطال الإنسان في حياته، فكتب على هذا الإنسان أنه سيلاقي في خريف هذه الحياة مشاكل ومآسي الشيخوخة ورحلة انتظار الموت؛

في هذه الفترة يبدأ الجسد بالتحول من أداةٍ لترويض الواقع إلى أداةٍ لاستقطاب الألم، وهنا يعلو صوت أمراض ارتفاع ضغط الدم وداء السكري والمفاصل والقلب وبقية أفراد العصابة التي تتكالب على الشيخ المسكين، إن هذا الجسد الواهي يبدأ بالتداعي والوهن في هذه المرحلة، ويصبح الإنسان كالخرقة البالية، ويبدو وجهه كورقة الشجر اليابسة حيث تُكوّن التجاعيد خارطة الزمن على الوجه والجسم، إنه باختصارٍ جسدٌ يثير الشفقة، وأحيانًا يثير النفور لبشاعة تشويه القدر والأيام، كما أن تعامل الآخرين هنا فيه قدرٌ واضحٌ من الاستصغار، وهنا تبدو وكأنها عودةٌ للطفولة وكيفية تعامل الناس مع الأطفال، حيث سلب الرأي وإعلان الوصايا وإهمال الرغبات الذاتية، وحتى السخرية، وكذلك جحود الأبناء.

في هذه السنين الأخيرة العجاف يصحو الإنسان وينتبه مع التباشير الأولى لهذه السنين ويسترجع شريط الحياة التي تبدو وكأنها مجرد فلمٍ بدأ للتو وحانت نهايته أو معركةٌ انتهت للتو وأنتبه المحارب بعدها إلى كثرة جروحه فيها.

ويتذكر حينها أنه كان مسكونًا بهوس الحياة ومتعشقًا بضروراتها ولاهثًا وراء سرابها، أحلامٌ كثيرةٌ اندثرت وأمانٍ ماتت في مهدها ورائحة احباطاتها تبدو كجيفة الموت، أحبابٌ يصعب جردهم قد ارتحلو، إنها كارثة، إنه إعصارٌ من الألم الحاضر والماضي، والإنسان يتعجب كيف انصهر بهذه الحياة رغم هذه الاحباطات السابقة، والجواب هو أنه لا يملك الخيار، فلا سبيل من الهروب من القدر المؤلم إلا إليه.

إن الشيخ الآن يحس بأنه غير مرغوبٍ فيه في المجتمع، أو أنه لا ينتمي إلى هذا الواقع، وإنما من ينتمي إليه هم شبابه وصغاره ومن هم (يلهثون) وراءه مجبرين كما كان هو، وهنا يشعر الشيخ باغترابٍ شديدٍ ويبدأ لا إراديًا بالهروب للخلف حيث الأصدقاء القدامى والعالم الذي ينتمي إليه، نعم يهرب إلى ألبوم الصور، إلى ذلك العالم، حتى وإن كان أصلًا مليئًا بالحرمان، ويحاول نسيان أحلام الطفولة البريئة التي وعدته خيرًا وفعل القدر خلافها شرًا،

عباس عبّود

يحاول نسيان المرأة التي حلم بها في فترة المراهقة والتي لم يجدها كل هذا العمر المديد، يحاول نسيان عنفوان الشباب والاستهزاء بالقدر والتصميم على النجاح الذي لم يتحقق كله أو ربما تحقق بعضه للبعض فقط، إنه يحاول أيضًا الهروب من إهمال الآخرين في هذه الشيخوخة المذلة، وهو أحيانًا يحاول نسيان حقيقة أن نهايته في دُور العجزة، هذه النهاية المأساوية التي ربما يحسده عليها شيوخ آخرون مشردون، إنه أيضًا يحاول نسيان أن العد العكسي لقنبلة الموت قد بدأ فعلًا، وإن ما يخاف منه الإنسان القوي والضعيف على حدٍ سواءٍ هو في الطريق إليه، انه يحاول نسيان أن مسلسل الألم وعبر كل هذا الألم لم ينته، وإن الموت هو المشهد الأكثر رعبًا والأخير وهو قريبٌ منه، ولكي تنجح محاولات النسيان والهروب هذه يعود إلى الحياة ويهرب إلى الأمام، ولكن هذه المرة يعيش في خيال حياته السالفة، فيتذكر مواطن الراحة فقط، بل إن حتى مواطن الألم لم تعد مؤلمةً، لأن ما يعيشه الآن اكثر إيلامًا، وعندها يستسلم مرةً أخرى وهو ينتظر أن يحقق سيد معادلة المعادلة الأخيرة، فينام النومة الأبدية، وعندها فقط يتخلص من ثنائية التخيير الرهيبة بين المر وبين الأمر.

الموت، هو الهاجس الأكثر رعبًا الذي طارد كل إنسان (وحتى الحيوان) وفي كل لحظات حياته، وما يزيد الرهبة أن الكل يعلم بأن هذه هي النهاية الحتمية، والخوف من هذا المصير مصدر ألمٍ حقيقيٍ رافق الإنسان في كل تفاعلاته مع الواقع، سواءً الخوف على الذات من هذا المصير، أو الخوف على الأهل والأحبة عليهم منه. كما أن الآلام العظيمة التي سبّبها موت الإنسان لأحبة هذا الإنسان لا يمكن أن تُهمل، فهي عظيمةٌ إلى الدرجة التي تبقى معها آثارها في نفس المحب ما بقي حيًّا، وهذا مصدر حزنٍ دائمٍ للإنسان.

تطور الألم

الكثير من مفردات الواقع تتطور بمرور الوقت فتتكيف مع ظروفٍ معينةٍ وتُطوّر أساليب معينةٍ وتفعّل أدواتٍ معينةٍ لفرض واقعٍ معين، هناك فيروسات مثلًا استطاع الإنسان أن يقضي عليها، ولكن بعد فترةٍ ظهرت هذه الفيروسات في الحياة بواقعٍ جديدٍ وإمكانات تكيفٍ أكثر قدرةً على الصمود والمناورة والتأثير، أي أكثر قدرةً على إلحاق الأذى بالإنسان، وهذا يعني أن الألم كذلك يتطور، وكلما ازداد الإنسان قوةً ومنعةً، ازداد الألم قوةً وفاعليةً، وهذا يعني أن سيد معادلة يعمل في أحيانٍ كثيرةٍ على تفعيل ما يؤلم في معادلة واقع الإنسان. إن معاناة الإنسان نسبيةٌ وتختلف وتتغير بحسب الظرف والبيئة، وإن كانت هناك خطوطٌ عامةٌ راسخة الحضور، وهذه المعاناة وبحسب هذه الحقيقة تتولد بأشكالٍ ووجوهٍ مستحدثةٍ تنبثق عن استحداثات التطور والتغير في واقع الإنسان. إن التطور المادي العظيم الذي أنجزه الإنسان لم يكن إيجابيًا محضًا، فهذا التطور قد أفرز مسببات ألمٍ جديدةٍ للإنسان، فالكهرباء ووسائط النقل الحديثة وغيرها من مجمل وسائل الإنسان المتطورة كلها نجمت عنها احتمالاتٌ هائلةٌ للموت والإصابة جراء الحوادث، ونحن هنا نتكلم عن مئات الآلاف وربما ملايين الحالات وليس حالاتٌ شاذةٌ فقط، ونحن لا نقول إن هذه الأدوات والوسائل سلبيةٌ إجمالًا، بل على العكس هي إيجابيةٌ بالمحصلة، ولكن في نفس الوقت هي ليست ايجابيةً بالمطلق، فيد سيد معادلة قد سخّرتها

حصانة المقدّس

عباس عبّود

في أحيانٍ كثيرةٍ لضرب الإنسان. إن الوسائل التي ذكرناها هي وسائل محصلتها إيجابيةٌ عمومًا بالنسبة للإنسان، ولكن الكارثة الكبرى هنا متأتيةٌ من جانبٍ بشعٍ من جوانب التطور المادي، وهذا يتعلق بتطور الأسلحة وبلوغها مرحلةً رهيبةً من إمكانية التدمير. إن الإنسان زرع الرعب والقتل والدمار سابقًا باستخدام أساليب وأدواتٍ بدائية، فما بالك بامتلاكه للأسلحة الرهيبة.

إن المحصلة أصبحت مئات آلاف القتلى بقنبلةٍ واحدةٍ في ثوانٍ بعد أن كانت المحصلة في السابق المئات أو الآلاف في عدة أيامٍ من القتال، ونحن هنا نتكلم أيضًا عن أسلحةٍ تتعدى قتل الأشخاص إلى الإبادة الجماعية، ونتكلم عن أسلحةٍ تجاوزت الطعن لأجل القتل إلى أسلحةٍ كيمياوية وجرثوميةٍ ونوويةٍ تفعل الأفاعيل بالجسد والجهاز العصبي، بل تمتد إلى نسف المدن وتخريب البيئة.

لقد تولدت فجوةً عظيمةً بين التطور المادي في حياة الإنسان وبين مستوى النضج في داخل هذا الإنسان، لقد أصبح الإنسان اليوم أكثر نضجًا (عمومًا) من السابق، ولكن هذا التطور في النضج أقل بكثيرٍ من مستوى التطور المادي. وهذا يعني أن الإنسان غير ناضجٍ كفايةً ليوجّه هذا التطور الهائل توجهًا سلميًا، والواقع خير شاهدٍ على هذا.

إن الأمر يبدو كوضع مسدسٍ بيد طفل، فعقلانية الإنسان وسلامة النوايا غير متجذرتين في ذات الإنسان إلى الحد المطمئن الذي يحوّل استخدام مجمل مفردات التطور المادي للاستخدام النافع والمجدي، ونحن هنا لا نتكلم على الأسلحة فقط وإنما بقية المفردات أيضًا كالإعلام والعلوم النفسية وغيرها.

هذا ما يتعلق بالتطور المادي، أما التغيرات الاجتماعية فالأمر مشابه، فقد حقق الإنسان إنجازاتٍ لا تُنكر جسّدت نضجًا واضحًا في التعامل الاجتماعي (بشكلٍ عام)، ولكن علينا ألّا ننسى أن هناك ملاحظاتٍ خطيرةً في المجتمعات المتطورة، فمن الواضح أن الروابط الأسرية والاجتماعية تبدو في حالة تدهورٍ وهناك انحلالٌ واضحٌ في هذه العلاقات، وهناك شيوعٌ خطيرٌ لظاهرة عدم الانتماء المطلق لأي مبدأ، وهناك ازديادٌ في الشعور بالعبثية، والأكثر حضورًا حالة الضياع والإحباط والشعور بالوحدة والأنانية الفردية المتنامية، واعتماد المادية في تعامل الإنسان وتحديد مقاييسه، وهناك خطر شيوع الإدمان على المخدرات، وهناك إحصاءاتٌ خطيرةٌ في هذا المجال.

أي باختصارٍ هناك ازديادٌ في نمطٍ فوضويٍ جديد. ويبدو أن سيد معادلة مُصرّ على أن يكون خلّاقًا مبدعًا، فبعد أن فرحنا باكتشاف دواءً للطاعون، فاجأنا بالأيدز، ويبدو أن هذا المسلسل لا نهاية له.

عباس عبّود

إقرار

إن الوجوه العامة التي ذكرناها للألم لا تحصر هذا الألم، لأنه لا يمكن تبويب الألم وحصر ألوانه وصولًا لتقديره، فالألم متعشقٌ بكل مفردات واقع الإنسان، وهو نسبي، وفيه أبعادٌ فرديةٌ خاصةٌ وأبعادٌ فئويةٌ عامة، وهو متغيرٌ ومتباين الحضور مقدارًا ونوعًا وحسب الظروف. لذلك أُقر بأن الألم الإنساني لا يمكن أن يُحدَّد بأطرٍ أو مقادير محددة، فهو عالمٌ بغيضٌ متماهٍ ومتداخلٌ في واقع الإنسان، وهو كالمحيط الذي يحيط بالتجربة البشرية، وأنّ لغارقٍ بمحيطٍ أن يحيط بشواطئه التي تبدو كالسراب الهارب، وهو كذلك كالشجرة الخبيثة التي تضرب بجذورها في أعماق النفس والواقع.

الإنسان يجهل آلام الغير، ولذلك هو يجهل عِظم الآلام التي اقترنت بالآخرين، فهو يجهل أنواع وألوان الألم، وكل هذا متوقعٌ لأنه يعلم فقط ما لامسه وعايشه من ظروف الواقع. إن هناك آلامًا خاصةً بأفرادٍ أو جماعاتٍ أو فئاتٍ يجهلها معظم الناس تمامًا، وحتى التي يعلم أحد الملامح عنها فهو يجهل عِظم حضورها في واقع الإنسان أو مدى وقعها على نفوس المعذَّبين. بل إن هناك أرقامًا مذهلةً لا يعلم الإنسان حجمها أو يتوقع مقدارها، وحتى من يعلم - إن كان هناك من يعلم- فإنه لا يحس بها إلّا من ذاق مرارتها، وحتى هذا لا يعي شيئًا عن بقية أمواج الألم الهادر هذا.

وللاطلاع على لمحةٍ بسيطةٍ على هذا العالم يمكن الاستعانة بالإنترنت واختيار أي عنوانٍ عامٍ أو خاصٍ يتعلق بالألم، ثم وبضغطةٍ واحدةٍ على زر البحث سيظهر عالمٌ من الأرقام، أرقام مجاعةٍ وقتلًى ومشردين ومباعين ومختطفين ومساجين ومعذبين وإلى نهاية هذا المسلسل الذي لا ينتهي، وأفضل عنوانٍ ممكن أن نختاره لهذه الأرقام هو: هل تعلم؟

وتذكروا أن هذه الأرقام ليست أرقام بطاقات يا نصيب أو تلفونات جوالة، وإنما هي أرقامٌ تمثل آلام أناسٍ من دمٍ ولحمٍ ومشاعر وأمانيّ، وتذكروا أنها أرقام هبات سيد معادلة، وتذكروا أن الكثيرين منّا هم جزءٌ من هذه الأرقام، وأن من كان محظوظًا ولم يُصنَّف في إحصائيةٍ مؤلمةٍ فمن يفلت من واحدةٍ قد تصيبه أخرى، قد تشمله أخرى، وتذكروا أن هناك من تشمله هذه الإحصاءات عدة مراتٍ من عدة مواضيع بسبب ابتلائه بمصادر ألمٍ متعددة، وتذكروا أيضًا أن هذه الأرقام معاصرة، أي معظمها معاصرٌ وفي زمن (الرقي والتقدم)، وليست من ماضِ الإنسان الفوضوي المتخلف، حيث كانت لعبة الأرقام والنسب أكثر قسوةً ودمويةً وألمًا. إن أفضل جوابٍ على العنوان التساؤلي (هل تعلم) هو: لا أحد يمكن أن يعلم علم اليقين ألوان الألم فضلًا عن مقداره.

عباس عبّود

محامي الدفاع

إن النظرة القائلة بإيجابية الواقع والتي قلنا بأنها نمطٌ من أنماط تقديسه لها منطلقاتٌ مختلفة، وقد سبق وأن أشرنا إلى هذه المنطلقات العامة. وبسبب هذه النظرة ومنطلقاتها طُرحت تنظيراتٌ مختلفةٌ سيقت باتجاهٍ معينٍ يتبنى بمجمله شخصية محامي الدفاع عن الواقع، ومن المفارقة والألم أن يقف الإنسان مدافعًا عن هذا الواقع الذي كان سبب ألم الإنسان.

إن الآراء التي طُرحت في هذا السياق متعددةٌ وتأخذ أبعادًا متباينةً في حضورها وحسب الظرف والمرحلة والقناعات السائدة، ولكن كلها تجتمع في غايتها وتجتمع أيضًا في كونها ساذجةً وذات بُعدٍ عاطفيٍ واضح، وأنها ترمي إلى الهروب من الإقرار بسلبية الواقع، خوفًا من هذه الحقيقة المخيفة بشكلٍ مباشر، أو خوفًا على معتقداتٍ معينةٍ راسخةٍ في النفوس (كالدين).

من هذه الآراء القول بأن الألم والحرمان أمران معتادان وهما جزءان من الواقع، وما دام الأمر كذلك فالواقع (أو الله) بريءٌ إذن من الظلم، أي أن الواقع فيه قصورٌ وليس عنده تقصير.

إن كون الألم جزءًا من الواقع وضروراته لا يعني أن الواقع ليس مصدرًا لهذا الألم، بل بالعكس، وهذا يدل على سلبيته، كما أن كون الألم عاديًا أو شائعًا لا يعني أنه لم يعد يشعر به الإنسان، بل بالعكس أيضًا هذا يدل على مدى بشاعة الحالة وعِظم شيوع الألم. أما القول بأن الله (مع فرض وجوده) لا يمكن أن يتجاوز ضرورات الواقع ويجعل العدل والسعادة مطلقين، فالرد عليه هو أن ضرورات الواقع هذه من المفترض أن يكون الله هو مهندسها وخالقها بالمطلق، أي هو الذي خلق الضرورة السلبية، أي هو أيضًا مرجع السلبية وسببها وليس شيئًا أو أحدًا آخر.

إن تكيف الإنسان مع الألم في الواقع لا يعني أن الواقع قد أصبح إيجابيًا بعد التكيف، وتعامل الناس بواقعيةٍ مع الألم وعِظم ثقل حضوره في حياته لا يعني أن التألم غاب عن إحساس الإنسان وهدأت الجروح.

إن الإنسان متعشقٌ تمامًا مع الواقع ومفرداته الحياتية وهذا يفرض تعلق الإنسان بهذا الواقع على الرغم من سطوة الألم والحرمان والإحباط بشكلٍ عام، كما أن الإنسان متعلقٌ دائمًا بأحلامه وأمله بمستقبلٍ يحمل تباشير تحقيق الأماني، وهذا التعشق والتعلق قد أوجد حالة تمسكٍ شديدةٍ من قِبل الإنسان بهذا الواقع، على الرغم من إعراض الأخير عن الإنسان ورغباته الكثيرة وفي مَواطن لا تحصى. ولكن هذا الاستغراب يتلاشى عندما نعلم أن الإنسان يحب الحياة لأن الاحتمال الآخر أبشع من بشاعة الحياة، وهذا الخيار هو الموت.

عباس عبّود

إن سيد معادلة نجح في أن يجعل الإنسان يتمسك بجلاده عن طريق وضعه بين ثنائيةٍ بغيضةٍ قطباها إما ألم الحياة أو ألم الموت. وهناك حالةٌ أبشع وأمرّ من هذه الحالة وهي أن هناك الكثير ممن تمنوا أو يتمنون خيار الموت والذي هو أسوأ عند الآخرين من خيار الحياة، ولكن هؤلاء لا ينتحرون لأن هناك أهلًا ومسؤولياتٍ تجبرهم على الرضوخ والبقاء في سجن الحياة والبقاء أيضًا في حالة تمني الخلاص بالموت، ويبدو أن سيد معادلة لديه دائمًا ما هو أسوأ.

هناك من يتناول عقارًا مخدرًا وينصح به الآخرين لكي يحجب بعضًا من ألم الواقع أو لكي يدافع عنه، وهذا العقار هو بأن السلبيات ما هي إلا مقدمةٌ ضروريةٌ لإيجابياتٍ لاحقةٍ عظيمةٍ للإنسان في مستقبلٍ أفضل موعود. وهنا نتساءل هل إن آلاف السنين من آلام البشر قد أنجبت هذا (الأفضل) الموعود، وإذا كان اللاحق نتيجةً مستحقةً للسابق، هل إن عذابات آلاف السنين في هذا (السابق) يستحقها واقعنا السيئ اليوم (اللاحق).

ولنفترض أن هذا الأفضل قد أتى، فهل ستتحول مآسي الماضي إلى أفراح؟ وهل تنفع شخصٌ معذبٌ سعادة آخر في زمنٍ آخر؟ بل هل تنسخ أيامٌ سعيدةٌ لإنسانٍ ما أيامه الماضية الحزينة؟ إنها حالاتٌ منفصلةٌ لتجارب منفصلة، حتى لو حدثت هذه الأمنية وتحقق الأفضل الموعود. ثم لماذا لا يكون العكس ما دمنا نتحدث في مجال الافتراض، أي لماذا لا يكون هذا السيئ تمهيدًا لِما هو أسوأ، أو إذا حصل (الأفضل اللاحق) لماذا لا يكون مقدمةً لشرٍ وهو كالهدوء الذي يسبق العاصفة.

يبدو أن إكسير الجنة الموعودة هو حلم اليقظة الأول عند الإنسان وبلا منازع، سواءً جنة السماء الإلهية أو جنة الأرض المرجوة من سيد معادلة.

كيف ينظر الواقع للإنسان؟

إن الواقع لا ينظر إلى الإنسان كما ينظر الإنسان إلى ذاته ولا يُعامِل الإنسان كما يحب أن يُعامَل، ومقاييس الواقع للأمور هي ليست نفسها مقاييس الإنسان. إن الإنسان يرى أن من يستحق النجاح هو من يثابر بجدٍ وإخلاص، والواقع يفرض أن من يستحق النجاح هو من تهيأت له أسباب هذا النجاح مع المثابرة والجِد والإخلاص أو من دونها.

إن الإنسان يرى أن من يستحق السعادة هو من سما خُلقه وزاد نفعه للمجتمع، والواقع يفرض أن من يستحق السعادة هو الذي تهيأت له أسباب هذه السعادة سواءً أكان سامي الخلق أم حقيره، وسواءً أكان نافعًا للناس أو مُضرًا بهم.

إن الاستحقاق في استراتيجية الواقع هو توافر أسبابٍ موضوعيةٍ لا علاقة لها بمقاييس الإنسان، لأنها أسبابٌ خاضعةٌ لمعادلات الواقع المادية وغير المادية. إن المُلك العظيم مثلًا أتى لأشخاصٍ كثرٍ ليس بسبب نضالهم، وإنما لأنهم وُلدوا في عوائل مالكة، وكذلك الحال مع الأثرياء.
نعم هناك أشخاصٌ ناضلوا في سبيل الملك والسلطة وجهدوا في سبيل الثراء ونالوا ما سعوا إليه، ولكن حتى هؤلاء لم

عباس عبّود

يكن ليتحقق لهم ما سعوا له لولا بقية أسباب الواقع التي جرت بما تشتهي سفنهم، والدليل أن هناك الكثير ممن ناضلوا وجهدوا ومع ذلك كان الفشل نصيبهم. إذن المحصلة التي يفرضها سيد معادلة لمعادلات الواقع وبمقياسه الجامد الحتمي هي ما حدث ويحدث.

إن هذه الهوة السحيقة بين مقياس الإنسان ومقياس الواقع كانت لها إسقاطاتٌ سلبيةٌ عظيمةٌ على واقع الإنسان، أهمها:

أن هناك حالةً من سوء التوزيع (حسب مقياس الإنسان) حيث أننا نجد أشخاصًا معينين يمتلكون أشياءً أو طاقاتٍ هم ليسوا بحاجةٍ لها أو هم في غنًى عنها تمامًا، بينما غيرهم في أمسّ الحاجة لها، بل إن هناك من تكون هذه الأشياء أو الطاقات غير مرغوبٍ بها أصلًا عنده أو مثار أذًى عليه، بينما تكون عند غيره حلمًا أو أمنيةً، وهذه الحالة شائعةٌ ومعروفةٌ في واقع الإنسان منذ القِدم وقيل فيها أمثالٌ كثيرةٌ عند كل الشعوب تقريبًا.

لو أن ما لا يحتاجه الكثيرون مُنح لآخرين كثيرين يحتاجونه لحُلت مشاكل وسكنت آلامٌ كثيرةٌ وعظيمةٌ في واقعنا. إن سوء التوزيع هذا أدّى إلى ما هو أسوأ، وهو امتلاك أشخاصٍ كثرٍ لطاقاتٍ عظيمةٍ وهم ليسوا أهلًا لها (إنسانيًا)، واستغلوها استغلالًا سلبيًا أدّى إلى نتائج سلبيةٍ عظيمةٍ على الإنسان، وفي بعض الأحيان امتدت هذه السلبية لتشمل حتى هؤلاء أنفسهم؛ إن الكثير من أصحاب الثروة وذوي السلطة والمشاهير هم من حثالة المجتمع، ولأنهم بهذا المستوى الهابط من الناحية الأخلاقية أو العقلانية، فإن ترجمتهم لهذه الطاقات كانت كارثيةً على الإنسان، ولو أن هذه الطاقات كانت بإدارة وحوزة أشخاصٍ ناضجين فكريًا وأصحاب مبادئٍ أخلاقيةٍ لتمت ترجمة هذه الطاقات إلى أوجه خيرٍ متعددةٍ تصيب وتغير واقع الإنسان.

هناك طاقاتٌ عظيمةٌ أيضًا خسرها الإنسان لأن معادلات الواقع فرضت ألا تكون هذه في المكان أو الزمان الملائمين، فهناك وعبر كل الأزمنة والأمكنة طاقاتٌ لم تُستغل -بسبب الظروف- لمصلحة الإنسان، فمثلًا هناك الكثير من المواهب والطاقات البشرية عند أشخاصٍ كثرٍ وُجدت واندرست بدون أن يكون لها دورها الإيجابي بالنسبة للإنسان.

إن كون الواقع لا يتدستر بدستور الإنسان ومصلحته قد أفرز سلبياتٍ كثيرةً غير التي ذكرناها، ومن هذه نقطةٌ خطيرةٌ تتمثل في إيجاد حقلٍ نفعيٍ خطيرٍ وعظيمٍ وواسعٍ تُرك استغلاله والانتفاع به للذين ليس لديهم مبدأٌ أخلاقيٌّ أو ضمير إنسانٍ حي، حيث أن الواقع رجح كفة هؤلاء المتحررين من رادع الضمير على حساب أهل المبادئ، فهناك موارد كثيرةٌ استغلها هؤلاء كونهم في ظروفٍ معينةٍ كانوا فيها بمأمنٍ من العقاب أو الحساب، فتجاوزوا على حقوق الآخرين أو انتهكوا حرماتٍ أخلاقيةً أو عرفيةً أو قانونيةً، وتحصلوا على المنفعة من هذا الحقل المتروك لأمثالهم،

بينما بقي أهل المبدأ والخُلق في حقل الحرمان، وبالتالي بقي الكثير منهم في دائرة الألم، أي أن القَدر يرجح كفة الاستغلاليين الأحرار من المبدأ والضمير على أهل المبدأ والضمير في مَواطن لا تحصى في الواقع وعبر كل المراحل.

عباس عبّود

إن الواقع رجح أيضًا كفة عديمي الإحساس والشعور بالمسؤولية، فهؤلاء لا يتألمون لآلام الإنسان ولا يكترثون لأبعاد سلوكهم وتأثيره على الإنسان، بل وحتى لا يتألمون إذا أُعتدي عليهم أو أُمتهنوا، بينما نجد ذوي الإحساس المرهف والشاعرين بالمسؤولية تجاه المجتمع والأحرار في غمٍّ وهمٍّ وحزنٍ وألمٍ عادةً.

وخلاصة القول هو إن القَدر لا يعامل الإنسان أكثر من كونه أحد المفردات المطلقة في هذا الواقع، وجزءٌ من معادلاته المطلقة، سواءً الإنسان ككلٍ فردًا وجماعةً بشكلٍ أنثروبولوجي تركيبي أو الإنسان كأجزاءٍ بشكلٍ فسيولوجي تفكيكي. أي إن سعادة الإنسان ليست هدفًا للواقع، كما أنها ليست المعادلة الأشمل من معادلات سيد معادلة.

هناك طاقاتٌ ماديةٌ ومعنويةٌ عظيمةٌ ومطلقةٌ في الواقع. وهي كافيةٌ لجعل الإنسان يعيش في جنةٍ حقيقيةٍ شبه مطلقة السعادة، ولكن معادلات الواقع بأبعادها الطبيعية العامة أو بُعدها الخاص المتعلق بأنانية الإنسان وتعصبه لذاته، هي العائق الذي يمنع وجود هذه الجنة في هذه الحياة. ويجب أن نعلم أن هذه المعادلات لا تتأخر في إفناء هذه الأرض لو أن معادلة نيزكٍ كبيرٍ قد حتمت ارتطامه بالأرض.

كيف يجب أن ننظر للواقع

إذا كان التفاؤل هو رؤية الجانب الإيجابي فقط في الواقع، فالتفاؤل هو تعامٍ، وإذا كان التفاؤل هو توقع أمورٍ إيجابيةٍ حتى وإن كانت المؤشرات الموضوعية لا تدل على هذا، فالتفاؤل هنا هو هروبٌ من الواقع إلى الأمام. كما أن التشاؤم إذا كان رؤية الجانب السلبي فقط أو كما يقال النظر إلى نصف الكأس الفارغ، فهو تعامٍ أيضًا، وإذا كان التشاؤم هو توقع أمورٍ سلبيةٍ حتى وإن كانت المؤشرات الموضوعية تشير إلى العكس، فالتشاؤم هنا هو انتكاسٌ وهروبٌ إلى الخلف. إن التفاؤل والتشاؤم يجب ألا يكونا توجهًا عاطفيًا أعمًى ومطلقًا، وإنما يجب أن يتحولا إلى رؤيةٍ عقلانيةٍ وواقعيةٍ تستند إلى دواعٍ موضوعية.

إن ما ذكرناه في الصفحات المارة حول سلبية الواقع هو رؤيةٌ وقراءةٌ تستند إلى معايير الإنسان وتتضمن حقائق راسخةً لا يجرؤ أحدٌ على نكرانها. إن أصوات الضحك في هذا الواقع لا يمكن أن تشوش على أصوات النحيب، ودموع الحزن لا تنشّفها دموع الفرح، ومآسي الإنسان المتواصلة لا يمكن إغفالها. وبالتالي لا يمكن لنظريةٍ إيجابية الواقع أن تصمد أمام ثورة الألم الإنساني.
كما أن من حق المليارات الهائلة من البشر الذين تعذبوا في هذا الواقع علينا ألا نقدس سبب ألمهم (الواقع)، لأن هذا يبدو تكريمًا للجاني أو خيانةً لقضية الإنسان، خصوصًا أن هناك من لا يكتفي بالتفاؤل الفارغ، وإنما يهزأ بمن يفضح سلبيات الواقع.

عباس عبّود

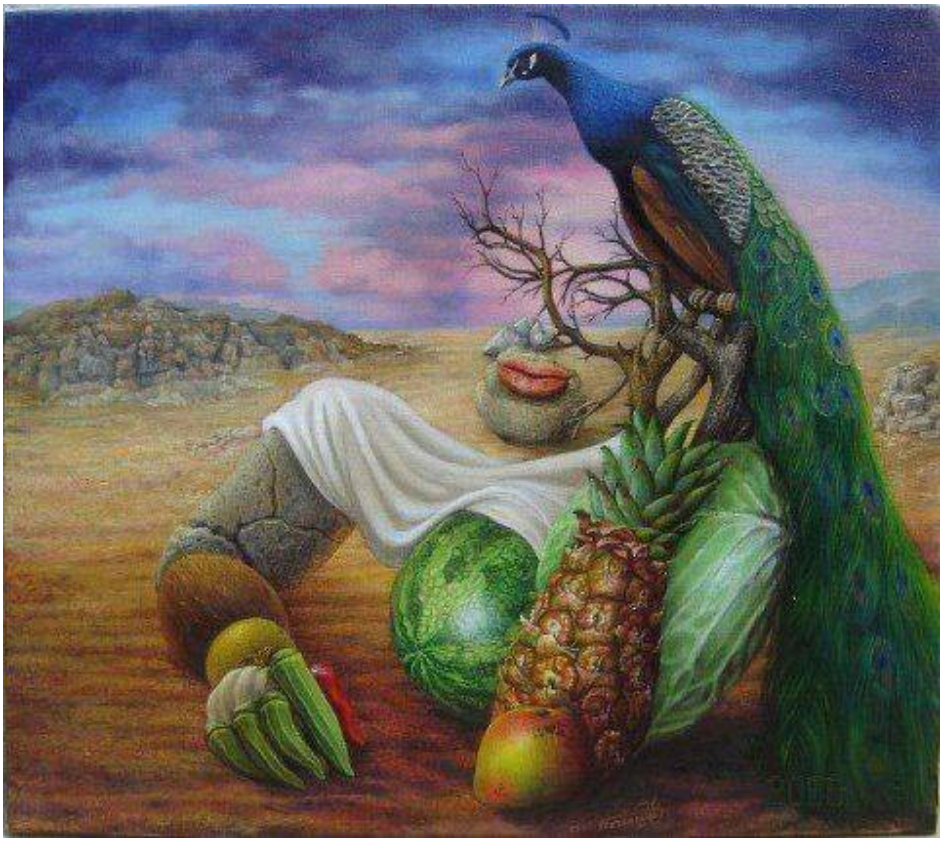

نحن لا نحارب السعادة والمسعدين والمتفائلين الذين ابتسمت لهم الحياة، وكذلك لا نحارب مواطن السعادة والإيجابية في هذا الواقع، بل على العكس نتمنى ونعمل لأجل أن يكون الكل سعيدًا، ومن أجل سعادة الإنسان انتقدنا الواقع، بل إننا نشجع الجميع على التمتع أكثر ما يستطيعون في هذا الواقع واستغلال مواطن السعادة والإيجابية، لأننا نريد للإيجابية والسعادة أن تزداد لا أن تقل.

خلاصة القول هنا يجب أن نتعامل مع الواقع من منطلقٍ موضوعيٍ بحتٍ ومن دون أي إطارٍ آخر، فلا نقدسه ونحكم عليه بأنه إيجابيٌ وراعٍ لنا ونتفاءل أكثر من اللازم، كما لا يجب ألا نتباكى وننتكس ونكرس رد فعلٍ عاطفيٍ قائمٍ على لعن الواقع بشكلٍ عبثي.

إذا نجحنا في أن نكون موضوعيين في تعاملنا مع الواقع فإن إحساسنا بالألم سيقل لأننا سوف لن نُصدم بالواقع بشكلٍ مضاعفٍ إذا حدث مكروه، كما إن إحساسنا بالسعادة سيزداد لأننا سنقدّرها أكثر مع معرفتنا بوجود احتمالاتٍ كبيرةٍ للألم في هذا الواقع، كما أن السماع عن آلام الإنسان يثير في المستمع حب المساعدة والرغبة بالتضامن، وبالتالي يزيد من إيجابية هذا الإنسان في تفكيره وقناعاته وكذلك في سلوكه، وستكون حينها قراراتنا أكثر فاعليةً وإيجابيةً لأنها أكثر واقعيةً.

إننا عندما نُحمّل الواقع أسباب مآسي الإنسان ونعارض أشكال تقديسه ومسمياتها، فإننا لا نقصد أن نتعامل معه عاطفيًا أو نلعنه ونشتمه، لأنه مجرد حتمياتٍ جامدةٍ ومعادلاتٍ مجردة، أي تمامًا كالآلة، ولا يجب أن تُقدّسَ الآلة أو تُلعن.

يجب ألا نقدس سوى مصلحة الإنسان والمُثل الإيجابية العليا، ويجب أن نعلم أنه لا ينفع الإنسان سوى الإنسان، ولن تنفعنا خيالات الأماني البريئة أو التصورات الميثولوجية، وإنما ما ينفعنا هو فقط المنهج العملي الواقعي البحت. وباختصارٍ يجب أن ننظر إلى سيد معادلة كما ينظر سيد معادلة إلينا.

عباس عبّود

الخلاصة

إن المآسي الرهيبة والآلام المزمنة التي أصابت الإنسان هي جرائم، وهذه الجرائم لا يجب أن تُقيَّد باسم مجهول، لأن الجاني معلومٌ وهو الواقع، ولهذا لا يجب أن يقدسَ هذا الواقع بأي شكلٍ من الأشكال. ولأجل مصلحة الإنسان لا يجب أن ننكسر وننشغل بلعن هذا الواقع، وإنما يجب أن نعمل بموضوعيةٍ ومن منطلقٍ براغماتي بحتٍ وبدستورٍ عقلانيٍّ واضحٍ وبأجندة إنسانيةٍ خالصةٍ لإسعاد الإنسان.

على الإنسان أن يكف عن الاعتقاد بأن هناك شيئًا يعمل لمصلحته اسمه الله، أو أن الوجود يعتبر الإنسان الكائن المدلل، وعلى الإنسان أن ينضج ويواجه الحقيقة بشجاعة، وهذه الحقيقة هي أن الإنسان مجرد جزءٍ من أجزاء الواقع، ومصلحة الإنسان ليست دستورًا للواقع، وإنما ضرورات الواقع الظرفية هي الدستور، وعليه فقد تكون هذه الضرورات في أحيانٍ تتطابق مع مصلحة الإنسان، وأحيانًا لا.

من نحن؟
نحن مجموعه من مسلمين سابقين ومسلمين بدرجات متفاوته من التدين.
ماذا نريد؟
نريد أن نجد الحقيقة، مهما كانت، و أن نحارب من أجل حقنا في اتباعها،
نريد أن نخلق مكانا آمنًا للناس ليتبادلوا فيه الأفكار التي تعلمنا ألا نتحدث عنها،
نريد أن نساند بعضنا ونساعد بعضنا على مواجهة أسئلة الأهل والمجتمع، وتكوين إجابات لها،
نريد أن نعطي اللادينيين (سواء ملحدين، ربوبيين أو غيرهم) في البلاد الإسلامية صوتًا لأنهم سيقتلون إذا علت أصواتهم.

muslimish | مسلمش
www.muslimish.com

اشترك الآن

YouTube

في قناتنا على اليوتيوب

https://www.youtube.com/c/ahmedzayedchannel

قرابة 10 مليون مشاهدة و70 ألف مشترك

أحمد سعد زايد

قناة أحمد سعد زايد على اليوتيوب هي قناة معنية بالتنوير الفكري والثقافي وهي محاولة للتفكير الموضوعي العقلاني معًا.

وتجدون فيها العديد من السلاسل ومنها:

- **ألف باء فلسفة لتبسيط المعرفة الفلسفية**
- **تاريخ الحضارة العربية الاسلامية**
- **سلسلة تعريفية برموز فكرية عربية وغربية كالمعري والرازي وأرسطو وماركس وراسل**
- **سلسلة بتحليل خلافات الصحابة وقتالهم**
- **سلسة تطور تاريخ الإيديولوجيات السياسية والفلسفات**

وغير ذلك كثير من محاضرات ومقابلات لرموز فكرية فالقناة بها أكثر من 700 محاضرة، وهي جهد طويل ومتواضع من العمل الثقافي ومحاولة نشر الوعي والعقلانية والعلمية قدر المستطاع للمتحدثين بالعربية.

للتواصل معنا على صفحة القناة على الفيسبوك:
https://www.facebook.com/aszayedtv

صفحة أحمد سعد زايد الشخصية:
https://www.facebook.com/ahmedsaadzayed

لدعم القناة: https://www.patreon.com/ahmedzayed

https://www.paypal.me/ahmedsaadzayed/100

غونتر لولينغ واكتشاف محمد

نادر قريط

أودّ الإشارة إلى أن هذا النص يستند على مسّودةٍ لمحاضرة، قدّمها باحث الإسلاميات الألماني غونتر لولينغ Günter Lüling في سبتمبر 1985، أثناء مشاركته في ندوةٍ دراسية، أقامتها جامعة كامبردج، وهذه المحاضرة بدورها تلخيصٌ لأهم أفكاره التي سبق له وأن نشرها في كتابين، أولهما (حول القرآن القديم Über den Urkoran 1974)، وثانيهما: (اكتشاف النبي محمدٍ ثانيةً Die wieder Entdeckung des Propheten Mohammed 1981 الذين أثارا بُعيد صدورهما سخط ورفض واستنكار الأوساط الأكاديمية، ومعاهد دراسة الإسلاميات في أوروبا، ثم تحوّلا مع مرور الزمن إلى مرجعين كلاسيكيين، يُشار لهما بالبنان، خصوصًا من باحثي الإسلاميات في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا.

غونتر لولينغ و اكتشاف محمد

نادر قريط

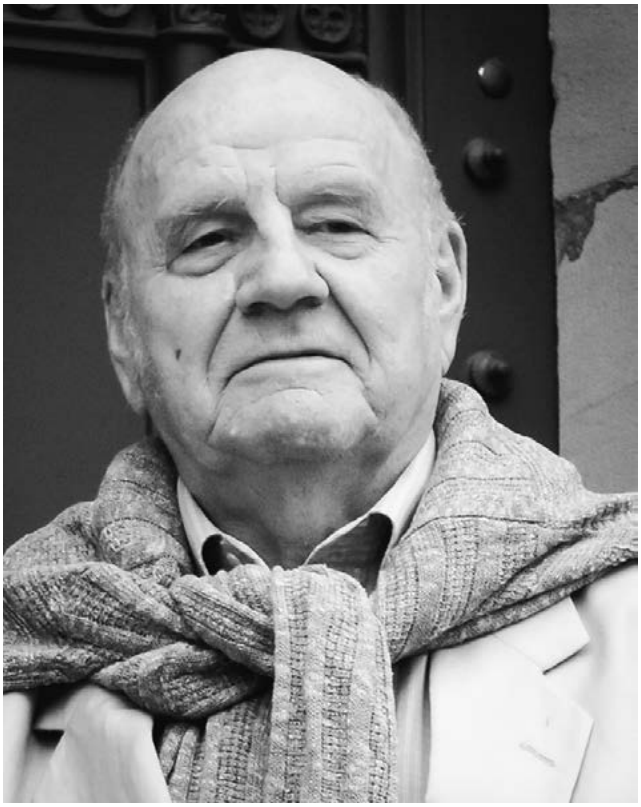

غونتر لولنغ

ورغم مايؤخذ على الكاتب من شطحات، لكنه امتلك نظرةً ثاقبةً وإحساسًا مرهفًا، مكّناه من التوغل وبلوغ المناطق المعتمة في ديانات التوحيد واستطلاع لحظات نشوئها. وهذا مثّل للبعض، عصيانًا وخروجًا على الأنماط الأكاديمية والمدرسانية السائدة، مع أنه والحق يقال لم يبتعد قيد أنملةٍ عن ميدان المدرسة الفيلولوجية الألمانية، وقواعدها الصارمة. وبرأيي المتواضع، فإن إشراقات الرجل، ولمحاته الكتابية تنبع أيضًا من حُبه لتراث المشرق العربي وولعه بنسيجه الحضاري، ومن المؤكد أن ولادته في سوريا عام 1928 وسط عائلةٍ تبشيرية، ثم عمله في معهد غوته في حلب، قد منحه فرصةً ثمينةً للتعرف على مكنونات الشرق وتقاليده (إضافةً للحمص والفلافل) ومن جهةٍ أخرى شكّل أرضيّةً لكراهيته ومقته حضارة الفرد الاستهلاكي.

لقد سعيت إلى تقديم الرجل كما هو، آملًا في كسر حلقة الشيطان المقفلة، وفتح آفاقٍ جديدةٍ للرؤية.

وآثرت (ما أمكن) أن أقتبس منه أفكارًا كاملةً، وفق لغته المسهبة، مع التفافٍ مقصودٍ على بعض التعبيرات الحادة، والغريبة عن مناهجنا ولغتنا (المدلسة والمداهنة). وأشير أيضًا إلى أني فتحت أقواسًا عديدةً، تضمّ بين دفتيّها، مشاركةً جدّيةً، لإشباع النص بوفرٍ من التساؤلات والإيضاحات، والاعتراضات. آملًا ألّا يرفع أحدٌ السيف، ويطالب بتوّبةٍ نصوحة، فالقضية لايمكن اختزالها بإنكار معلومٍ من الأديان.

المسألة أكبر من ذلك بكثير. فتاريخ أديان التوحيد برأي الكاتب أشبه بألغاز!! تختفي وراء بداياتٍ معتمةٍ ومجهولة، وتقبع خلف جدرانٍ من الأسطرة، شيدتها الدوغمات الثلاثة، مما سبب إغلاقًا لمنافذ الرؤية .

من هنا فإن نظرية لولينغ تقوم أساسًا على تلمس تلك الفجوة في الموروث الكتابي والتي يبلغ متوسطها 200سنة، وهي مقدارالزمن الفاصل بين وفاة مؤسس العقيدة، وبين نشوء النصوص المقدسة القانونية . (Canon)

ينطلق لولينغ من أن اليهومسيحية كانت الأساس لنشوء الإسلام، فخلال القرون المبكرة للمسيحية، حدث انشقاقٌ مهمٌ أنتج تيارين رئيسيين.

غونتر لولينغ و اكتشاف محمد

نادر قريط

أولهما تيّارٌ ارتبط بالهلينية الرومانية، وقاده بولس الرسول وأثمر عن ولادة الكنيسة المسيحية، التي انقسمت فيما بعد إلى كنائس متعددة.

أما التيار الثاني فقد أنتج يهومسيحية كان من أهم ممثليها الطائفة الإبيونية، التي تؤمن بإلهٍ واحد، منزّهٌ من الأقانيم الثلاثة،

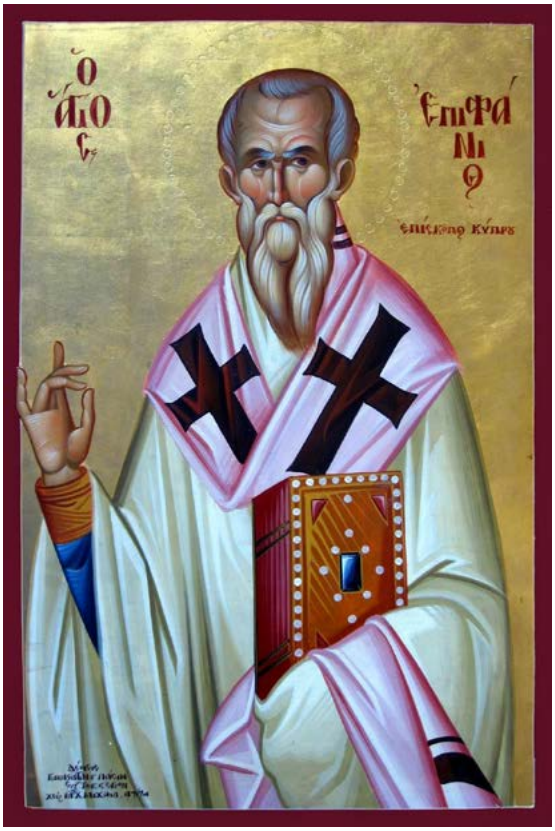

القديس إپيفانيوس السلاميسي صنف الإبيونية هرطقة

وترفض عقيدة الألوهية ليسوع، وتنظر إليه كأحد الملائكة الكبار الذين اختارهم الملأ الأعلى، وألبسهم الجسد المسيحي لإيصال رسالة الخلاص. ومن أهم ميّزات العقيدة الإبيونية التزامها بشعيرة الختان اليهودي، إلى جانب المعمودية، وكذلك التزامها بتقديس يوم السبت (اليهودي) وبنفس الوقت إدانتها لطقوس تقريب القرابين (التي تأمر بها الشريعة اليهودية) ورفضها لقانون موسى، والنبوّة (أود الإشارة إلى أن فكرة النبوّة آنذاك لم تكن تحظى بتقديس، فالنبي كان أشبه بعرّاف قبيلة، لذا نجد التوراة تسرد حكايا عن آلاف الأنبياء، وأحيانًا تذكرنا بحروبٍ بين أنبياء البعليم الوثني وأنبياء إسرائيل، لهذا حملت العقيدة المسيحية مشاعر ازدراءٍ واضحةٍ للنبوّة، وفضّلت صيغة المسيح ملك يهوذا والسامرة، ولاننسى أن ملك وملاك نشأتا من جذرٍ لغويٍ واحد) فقط أردت تعميق هذه الفكرة لنصل مع لولينغ إلى فهم فكرته القادمة عن النبوّة الملائكية أو النبي الملاك، (وعلاقتها بالإسلام) وكذلك رفضَ الإبيونيون الشرائع الباولوسية (بولس)، وفضّلوا عليها حياة الزهد والتقشف، والمواظبة على طقوس الغسل والصلاة باتجاه القدس، بعكس الكنائس اليونانية التي اتخذت شروق الشمس اتجاهًا لقبلتها (والناجمة حسب تقديري عن تأثرهم بعبادات رع المصرية). لهذا يستنتج لولينغ أن الإسلام المبكر، يحتوي على تأثيراتٍ أبيونية، يمكن تلمّسها في أيامنا الحاضرة، خصوصًا عند الشيعة والإسماعيلية، كما ويمكن إثباتها من خلال قصص الموروث المتواترة ..

(ختان النبي وهو في يومه السابع على يد جده عبدالمطلب، ظاهرة الأحناف وورقة بن نوفل، وظاهرة الشِعر الجاهلي الذي استبطن النص القرآني دلاليًا ولفظيًا كما في أشعار ابن الصلت وعمرو بن نفيل وزهير وغيرهم، وكذلك الحال استيعاب الشعر الجاهلي مشروع لسان قريش، علمًا بأن معظم الشعراء ليسوا من هذه القبيلة، وكذلك دلالات اسم والد الرسول عبدالله، وعددٌ لاحصر له من الإشارات التي تدل على وجود تراثٍ يهومسيحيٍّ غزير)،

لكن الأمر الذي أفزع الأوساط البحثية، تلخّص في نظرية لولينغ حول تاريخ الكعبة، واعتبارها كنيسةً عربيةً صغيرةً، وكذلك اعتباره اللات والعزى ومناة، مَرْيَماتٍ عربيات، وهُبَل (هابيل: صورةٌ ميثولوجية لإله الرعي)،

غونتر لولينغ و اكتشاف محمد

نادر قريط

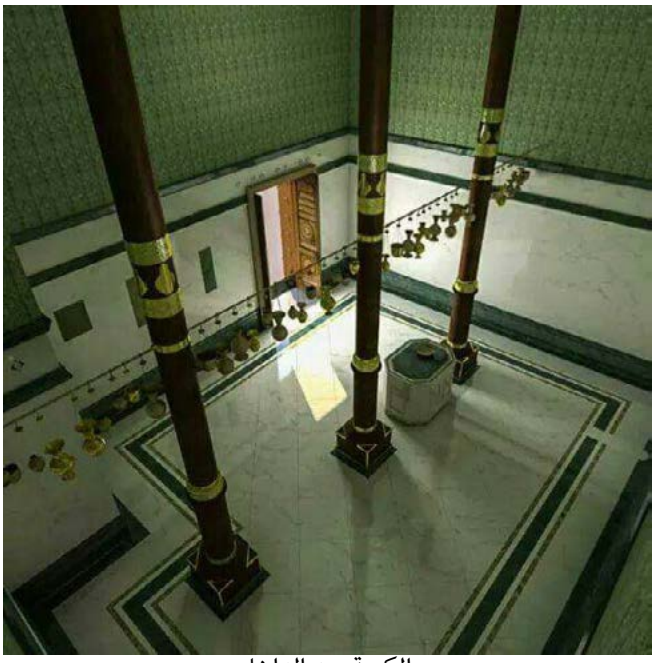

الكعبة من الداخل

وقد اعتمد لولينغ في تفسيره هذا على الموروث العربي نفسه (مثل تاريخ مكة للأزرقي وغيره) الذي تحدّث عن مراحل عدةٍ لبناء الكعبة، في عهد الزبير وعبدالملك بن مروان، ثم إشارته الذكية إلى الحُجر (وهو عبارةٌ عن قوسٍ ضئيل الارتفاع أمام الجدار الشامي، بداخله قبر إسماعيل وأمه هاجر)، حيث تؤكد المدوّنات العربية أن بناء الحُجر كان مرتفعًا، ومتصلًا بداخل الكعبة!!

إذ يمكن تصوّره كمذبحٍ للكنيسة المفترضة، ناهيك عن أن الموروث، تحدّث عن وجود ستة أعمدةٍ متوازيةٍ داخل الكعبة، أتاحت لمصليّ تلك الأيام، أن يوّلوا وجوههم صوب المذبح أوالقدس أو الحُجر(حاليًا يوجد ثلاثة أعمدة)

وفي مقدمة ابن خلدون ص389 طبعة دار الجيل هنالك مايؤكد أن الحجاج بن يوسف هدم ستة أذرعٍ وشبرٍ مكان الحُجر، وسدّ الباب الغربي!!

وأيضًا لم ينسَ لولينغ رواية الأزرقي، التي تحدثت عن اللحظة التاريخية لفتح مكة، وذكره قصة صور مريم وعيسى داخل الكعبة، والتي مُسحت لاحقًا بأوامر من النبي؛ وبرغم ما أثارته هذه النظرية من لغط، أُجزم أن الأمر لايتعدى حدود الإثارة والفضول المعرفي، ولا أظن أن المسيحية، والرئيس المؤمن جورج بوش سيكترث للأمر، لعلمه اليقين أن البترول هو الطريق الوحيدة المؤدية للجنة .

أما الأمر الأكثر حساسيةً، هو دخول السيد لولينغ في واحدةٍ من المحرمات الإسلامية، أقصد بحثه الطويل والمركب في قراءة النص القرآني، وملاحظته للسور القصيرة (المقفاة شعريًا) واعتباره إياها تراتيل وأغانٍ مسيحيةٍ عربية، جُمعت وكوّنت نواة القرآن القديم، بعد إضافاتٍ منحتها محتوًى ودلالةً جديدةً، وبرأيه فإن هذا النص دُوّن بداية الأمر بلغةٍ غير منقّطةٍ وبدون حركاتٍ صوتية، وظل على حاله فترةً تصل إلى 150سنة، ثم تعرّض بعدها إلى تغييرٍ دوغمائي، استمر حتى نضوج وترسخ مؤسسة الدوغما ونشوء واكتمال السيرِ النبوية، وبداية ظهور التفاسير في القرن العاشر والحادي عشر ميلادي؟؟

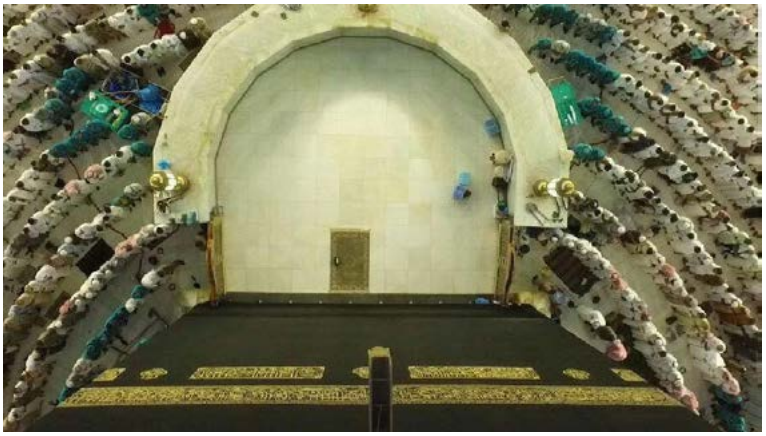

منظر علوي لحُجر إسماعيل

غونتر لولينغ و اكتشاف محمد

نادر قريط

لكن كل هذا الكلام لايمس جوهر الموضوع الحقيقي!! فنشأة وصيرورة النص القرآني تاريخيًا، هي من مسلمات البحث الفليلولوجي المعاصر... فما سعى إليه لولينغ، هو فتح ملفٍ مجهول، من تاريخ الدعوة المحمدية . ملفٌ يعتبره الكاتب، جوهر الرسالة، التي عبّرت عن نفسها من خلال ذوبان أتباع النبي مع الإبيونيين التوحيدين (الأحناف) المعادين للصور والنحوت، التي جلبتها مسيحية اليونان ذات الأقانيم الثلاثة، والطقوس الغريبة، أي أن الصدام لم يكن مع قريشٍ الوثنية، بل مع قريشٍ المسيحية التثليثية، وهذا ما أخفاه موروث الخلفاء، وطمسه وغيّبه عبر سياسة تعتيمٍ شمولية، ومسح للذاكرة الجمعية ...

إن مشروع محمدٍ لم يكن يقصد إخراج العرب من الوثنية paganism إلى التوحيد الذي مثلته المسيحية واليهودية (أهل الكتاب) بل كان يقصد الخروج والعصيان على ذلك التوحيد (المسخ) والعودة إلى دين إبراهيم وإسماعيل ويعقوب وموسى وعيسى، وهنا بيت القصيد، بمعنى العودة إلى الأصول البدئية الطبيعية (Pagan) لتراث العرب وديانات الخصوبة الطبيعية التي مثلتها اليهودية والمسيحية المبكرة (والتي تجلّت بصورة داوود وسليمان !! و فكرة الفداء المسيحي، باعتبارها فداءً للقبيلة والعصبة وعلاقات الرحم، ناهيك عن الجذور المثيولوجية لقصة المسيح، والتي تعود هي الأخرى لديانات وطقوس مرتفعات الخصوبة الكنعانية، التي مجدت البطولة، وتقاليد القبور وإحياء الموتى، لهذا أعاد الإسلام هذه الفكرة من خلال عقيدة النشر، وحشر الأجساد في العالم الآخر)، وهكذا يلخص لولينغ أفكاره في اكتشاف النبي كما يلي:

إن عودة النبي محمدٍ إلى الجذر الإبراهيمي هو عصيانٌ وتمردٌ أمام مسيحيةٍ روم هيلينية ذات مشروعٍ كوني (باولوسي) يرمي إلى تشييد إمبراطوية بروليتارية لأفرادٍ مقطوعي الجذور!! أي أنها عودةٌ إلى إبراهيم الذي يخاطب الله بدون تكلف، فيحدد له تخوم أرضه ونسله وصلبه. وهذا برأيي من أحد أهم اللمحات الفكرية للولينغ.

أما النقطة الجديرة بالانتباه، فهي رفض غونتر لولينغ لفكرة الفتوحات الإسلامية السريعة، فمن اللامنطق قبول وتصديق الرواية، التي تتحدث عن مجموعاتٍ قليلةٍ من التجار ومربي الماشية، وكيف اجتاحوا بلاد فارس ووصلوا إلى تونس خلال ثلاثين سنة، وفي غضون خمسين عامًا إلى جبال البيرينيه، وهددوا القسطنطينية، كيف يستوي ذلك مع أخبار نزاعات العرب فيما بينهم وتذابحهم على خلافة الرسول واشتعال فتنة عثمان وحروب عائشة وعليّ ومعاوية، إن هذه النِزاعات وحدها كانت كفيلةً بإحباط أي مشروعٍ إمبراطوري كبير...

غونتر لولينغ و اكتشاف محمد

نادر قريط

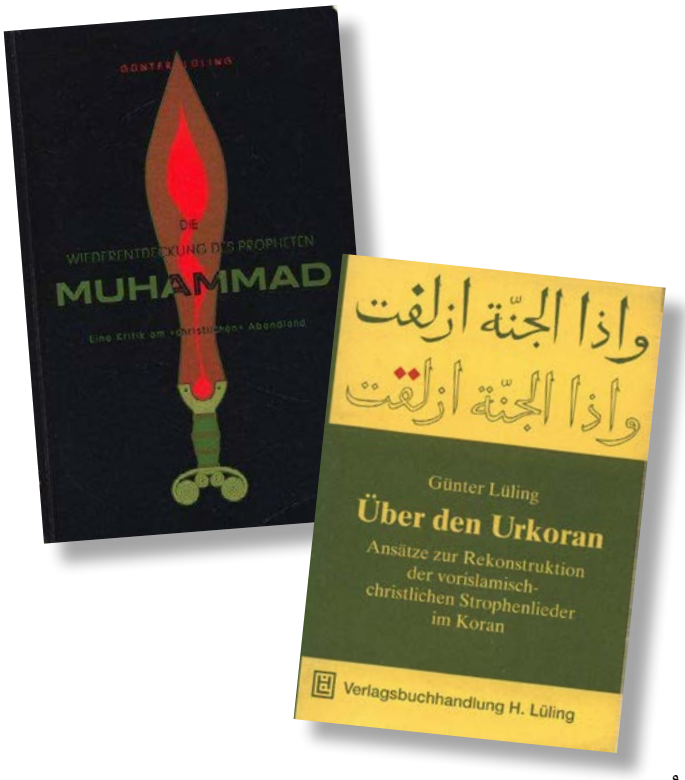

إذًا لابد لنا من قبول مبدأ التمدد السلمي للعرب، فالإيمان فقط بعقيدةٍ ما لايحقق انتصاراتٍ وفتوحات، لابد أن اللغة الكتابية العربية قد ازدهرت في وقتٍ ما وسبقت الجيوش .. (ببساطةٍ شديدةٍ يمكننا الحديث بهذا المعنى عن فتوحاتٍ لغويةٍ كتابيةٍ عربية، سحقت لغاتٍ وثقافاتٍ دبّت بها الشيخوخة، وعن لغةٍ تحوّلت إلى العالمية Lingua Franca واحتلت وحلّت مكان لغة الساسانيين واليهود وبيزنطيي شمال أفريقيا، وعن لغةٍ استطاعت أن تجعل من أبناء الثقافة الفارسية العريقة، أهم معلميها ومبدعيها ونحّاتيها؟ هنا برأيي نجد اللغز الأكبر في نشأة الإسلام)!!.

والآن أعود بعجالةٍ لتلخيصٍ لأهم ماورد في محاضرة لولينغ:

يشير الكاتب إلى البحوث اللسانية التي قام بها كارل فولر ولاندبرغ في القرن 19 ودراستهم للّهجات العربية، وإصرارهم المُحق، على عدم وجود عربيةٍ فصحى محكية، في الزمن المبكر للإسلام (عكس ما تزعمه مؤسسة الدوغما)،

بدايةً منهجيةً، وكذلك يشير إلى سعيهم لإثبات وجود نسخةٍ شعبيةٍ للنص القرآني، يُعتقد أنها هُضمت وذابت في اللغة الفصحى. لكنه ينتقد ضمنيًا تلك المحاولات، غير الكافية، التي لن تؤدي إلى تحطيم وتهشيم الموديل Paradigma الدوغمائي المهيمن،

لذا يقترح تعميق محاولات العالم البروتستانتي ألبرت شفايتسر Albert Schweitzer وڤيرنر Werner واعتماد طريقتهما المثلى في البحوث المسيحية وقدرتهما على تفكيك وتهشيم الموديل المسيحي، وتعميق دراسات العصور السابقة للدولة، وتمثل قيم القبيلة ومفاهيم العصبة الدموية (صِلات الرحم) والثأر وإقراء الضيف، وتعميقها بمزيدٍ من دراسات الأنتربولوجيا الاجتماعية، واعتماد تطبيقات أولبرايت W.F Albright على العهد القديم... ثم ينتقل بعدها إلى واحدة (من شطحاته التي لم أستطع هضمها؟) والتي منح بموجبها محمدًا، صفة النبوة الملائكية (نبيٌّ ملاك)، وهي صفةٌ تم طمسها فيما بعد واستبدالها بحشوٍ قصصيٍ عن الملاك جبريل، ويعتقد لولينغ أن محمدًا فهم نفسه كملاكٍ يمثل إرادة الملأ الأعلى، دون أن يصرح بذلك وهكذا فهمه أتباعه، تمامًا كما فعل يسوع الذي فهم نفسه بأنه المسيح المخلص دون أن يصرّح بذلك.

غونتر لولينغ و اكتشاف محمد

نادر قريط

لذا يخلص لولينغ إلى أن محمدًا لم يكن بحاجةٍ لجبريل، ويشير إلى أن الآيتين المتعلقتين بجبريل:
سورة البقرة الآية 97: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾
والتحريم الآية 4: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾.

فيلهاوزن

هما من فِعل التدوين المابعد نبوي، ويعلل ذلك بسبب استحالة النبوّة في ذلك المناخ العقلي الثقافي الذي كان مفعمًا بروح النبوة الملائكية.. (وبرغم تعارض هذه الصورة مع ثقافتنا الرائجة، إلا أنني أعتقد أن ملامح جبريل تبدو مشوهةً في الموروث الإسلامي، بسبب إشكالية التنزيل التي حدثت بصورةٍ شخصانيةٍ مباشرة، وأحيانًا بواسطة الإلهام . إضافةً إلى تمظهرات جبريل الغريبة كأخٍ لمحمد، وأحيانًا كدحية الكلبي أو دوره كسائسٍ يمتطي البراق في قصة الإسراء والمعراج).
أما النقطة المهمة في محاضرته، فقد تضمنت ردًّا مسهبًا على رأي المستشرق المعروف فيلهاوزن، الذي اعتبر نظام العصبة الدموية (القبيلة) العربية، أشبه بوجودٍ وإدراكٍ عموميٍّ بدون سُلطة، وهذا يندرج في إطار التوحش، غير القادر على الإنتاج والفاعلية ..

ويجد لولينغ أن فيلهاوزن Julius Wellhausen لم يدرك تمامًا حضارات الخصوبة، لأنه كان مأخوذًا بنموذج الدولة الراقية وأسيرًا لفكرة الإنتاج والنمو الاقتصادي

(وفي مكانٍ آخر يعبّر لولينغ عن إعجابه بقانون العقوبات البدوي، ونظام دفع ديّة القتيل، والمصالحة العشائرية، بينما ينظر إلى قوانين الجزاء الحديثة، كأنها سلسلةٌ من الذنب والعقوبة)

نادر قريط

غونتر لولينغ و اكتشاف محمد

استراحةٌ تاريخية؟

دوزي

الآن وبعد أن عرفنا بعض آراء لولينغ، أودّ أن أتجاوز الكثير من أطروحاته، اختصارًا لمساحة هذه المقالة، وأتوقف عند اكتشافه (المتأخر) للهولندي راينهارد دوزي R. Dozy الذي أصدر عام 1864 كتابًا بعنوان: الإسرائيليون في مكة De Israelieten te Mekka، وفيه يذكر أن إسم مكة، ولغاية القرن الثالث الميلادي، كان يرِد في الوثائق القديمة: ماكورابا Macoraba وهو نفس الاسم الذي ورد ذكره مرارًا في الأسفار التوراتية ..

مكا رابا وتعني بالكنعانية: ساحة الصراع أو أرض المعركة، ومن المهم ذكر الحادثة التي ترويها التوراة عن رحيل سبط شمعون، أيام الملك شاوول وداوود، وإقامتهم في أرض الحجاز، (أحد الأسباط الاثني عشر)،

كل هذه الإشارات دعت دوزي إلى الاعتقاد بأن قصة إسماعيل وهاجر التوراتية هي حشوٌ تاريخيٌّ أحدثه مدوّنو التوراة متأخرًا لتبرير رحيل آل شمعون، كخروجٍ من المأزق وتخفيفٍ من مشاعر الذل والعار التي لحقتهم، وبهذا فإن نظرية دوزي تقوم على وجود خلطٍ بين شمعيل وشمعون (تعمّدت كتابة اسم إسماعيل: شمعيل لإظهار الفرق الضئيل مع اسم شمعون).
ثم ينتقل دوزي بدراسته إلى إلهين وثنيين، عُرفا باسمي: إساف ونائلة، وهما إلهان انتصبا على مرتفعي الصفا والمروة (بالقرب من مكة) ويذكرهما الموروث الإسلامي بكثيرٍ من الأسطرة، لكن دوزي يكتشف مفتاحًا لغويًا يؤكد أن إساف بالعبرانية هي آسوف (مكانٌ لرمي فضلات الذبائح والأحشاء)
ونائلة هي نوالي وتعني (مزبلة) وبهذ فإن الصفا والمروة كانتا مكانين لرمي النفايات الناتجة عن القرابين التي كانت تُنحر أمام الكعبة المقدسة ...

وبعد موت دوزي، توقفت اهتمامات باحثي التوراة، باستثناء محاولة فينكلر وهوميل التي تابعت أخبار العصر التوراتي للملك حزقيا (715 و 696 ق.م) وأثبتت أن كثيرًا من النصوص التوراتية التي ذكرت مصر كانت تعني المنطقة التي جنوب خليج العقبة (شمال غرب شبه الجزيرة العربية)، حيث أثبتت النقوش والكتابات المسمارية التي عُثر عليها أن تلك المنطقة (حتى القرن السابع) كانت تدعى مُصُر أو مِصر وهو المكان الذي

نادر قريط

تسميه التوراة مصراييم، وعين المكان الذي أقامت به قبائل الشماعيلية أو الشمعونية.. (وهذا الأمر سيُفرح عشاق نظرية كمال الصليبيي، وأحمد داوود).

ثم ننتقل إلى واحدةٍ من الأمور التي حيّرت باحثي التوراة، وهي قصة سبط اللاويين (الذين تفرغوا للكهانة ومنهم موسى وهارون) والذين فُقد أثرهم، من خارطة توزيع القبائل الإسرائيلية، إذ لاوجود حقيقي لهم على أرض التوراة (من المعروف أن سبطي يهوذا وبنيامين سكنا الجنوب، والباقي في الشمال)،

لكننا نعود ونسمع قصة اللاويين مجددًا من جيل ما بعد السبي البابلي، الذي تركنا نعرف أن اللاويين اختفوا ولم يعودوا إلى أرض الميعاد!! وبنفس الوقت يخبرنا المدوّن التوراتي أن نبوخذ نصر قام بترحيل ثمانين ألفًا من فتيان اليهود إلى الحجاز.. أخيرًا، وبعد كل هذه الروايات والقصص الميثولوجية التي تصب في اتجاهٍ واحد، أجد شخصيًا أن أرض الحجاز كانت أحد المراكز الروحية الكبرى في تاريخ القصة اليهودية الإبراهيمية، فالكعبة لم تكن مركزًا لعبادات (الجاهلية) الوثنية المبتذلة، كما يخبرنا الموروث الإسلامي بإطنابٍ وإسهابٍ قصصيٍّ أسطوري، وإلا فكيف يفسرون تحوّلها إلى مركزٍ للحج الإسلامي فيما بعد، وكيف يفسرون تأكيد النص القرآني على جعل الصفا والمروة (حيث يقف صنما إساف ونائلة ضمن شعائر الحج) ..

ملاحظة: من يود معرفة المزيد حول هذا الموضوع ما عليه إلا انتظار كتابي الذي سيصدر بعد قطاف المشمش.

نبذة عن الكاتب بقلمه:

اسمي نادرعبد الله قريط، أنتمي لجنوب سوريا المسمّاة (حوران)، وُلدت عام 1957 في بلدةٍ شماليةٍ لم أرها قطّ، اسمها "اليعقوبية"، حيث كان والدي يعمل فيها موظفًا حكوميًا. آنذاك داهمتْ والدتي الفتيّة آلام وضعٍ عسير، فهرعت جارتنا (وهي من أقليةٍ غيرعربية) وأخرجتني إلى هذا العالم وأطلقت علي اسم "نادر"، لهذا أدين لهذه السيدة التي لم أرها في حياتي؛ ولعلها قصةٌ مازالت تربطني بتلك الأرض التي أحببت فسيفساءها وألوانها وأناسها بكل مذاهبهم وأعراقهم، درست الهندسة المدنية في جامعة بغداد، وتخرجت عام 1981 وأعيش في النمسا منذ عام 1989... مارست لعدة سنين عملًا في سوق الثقافة والكتّاب فكانت فرصةً للتعرف على عديدٍ من الكتّاب والمفكرين ودور النشر. كتبت روايةً لم أنشرها (مع توفر الوسيلة)، وكتبت مقالاتٍ عديدةً في الصحافة والنت، وترجمت بعض الدراسات والمختصرات والرؤى النقدية الحديثة المتعلقة بتاريخ الأديان (وأحتفظ بالدراسات الطويلة لحين نشرها مستقبلًا)، مع ذلك أنظر للكتابة بشيءٍ من الريبة والحذر.

أرشيف مدونة أرض الرمال

تحية لـ بن كريشان

http://www.thelandofsands.blogspot.com

سيرة محمد بن آمنة

الحلقة السابعة عشرة: زواجان وجنازتان

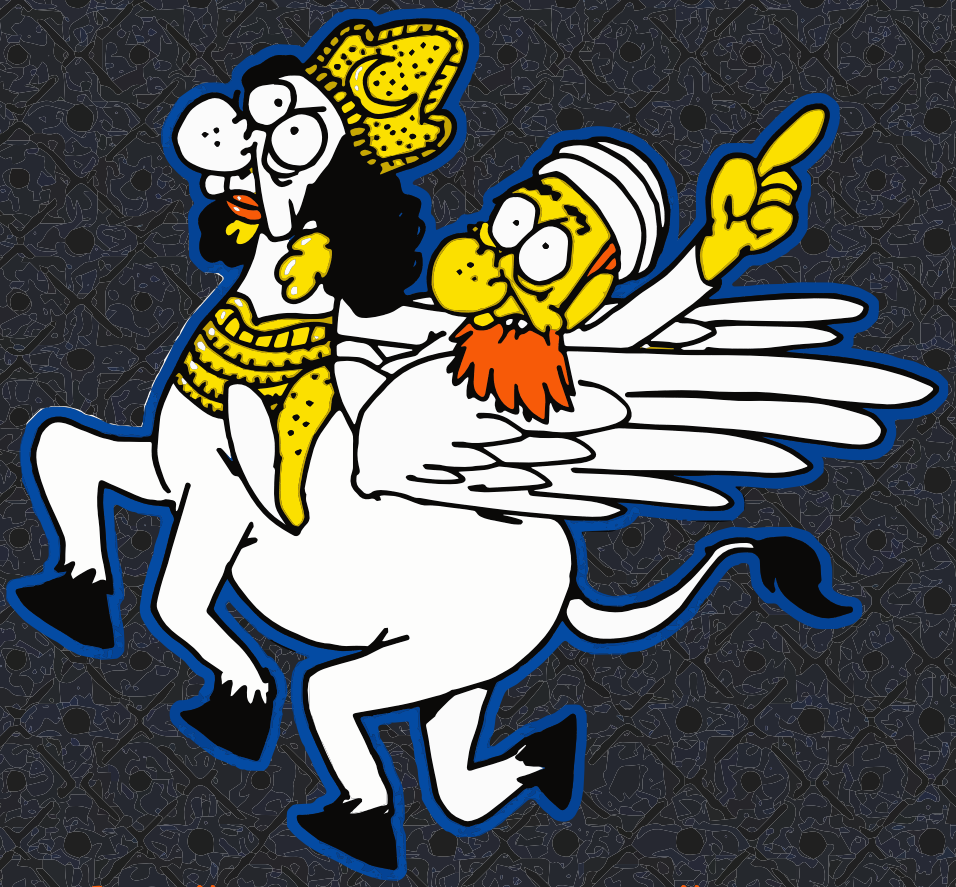

ترجمة عن الفرنسية لكتاب

LA VIE DE MAHOMET

ترجمة: سارة سركسيان

تدقيق ترجمة: دينا بوعلام تدقيق مصادر: ميرا بشقرون

إخراج: أسرة تحرير مجلة الملحدين العرب

زواجان وجنازتان
شهدت السنة العاشرة من البعثة وفاة عددٍ من أقرباء محمد.[1]
عندما عرف الصادق الأمين بمرض عمّه الحبيب أبي طالب، جاء لزيارته وهو على فراش الموت فوجده محاطًا بأسياد قريش .
اجعلوا لي مكانًا قرب عمي!
لن نفعل ذلك.
إن كنت مقربًا منه فنحن كذلك.
أبا طالب، أنت على فراش الموت ولا أحد يعرف إن كنت ستنجو قل لابن أخيك أن يحترم معتقداتنا.
وليؤمن هو بما يشاء.
إذا استمر بإهانة آلهتنا، سنضطر لإهانة ربّه.
هل سمعت يا بني؟ ها هم سادة قبيلتنا يطلبون منك طلبًا عادلًا، فاستمع لهم يا بني.

عمي، أنت مشغولٌ بكلام قومك في الوقت الذي يجب أن تهتم فيه بأمرك.
أعلن إسلامك قبل أن تصعد إلى السماء.
رفض أبوطالب الإيمان بدين محمد مع أنه كان يحميه ويدافع عنه، ثم لفظ أنفاسه الأخيرة.(2)
بعد وفاة أبي طالب بمدةٍ قصيرة، تساءل أحد أتباع النبي محمد:
يا رسول الله، كان أبو طالب يشملك بحمايته، وكان يدافع عنك أمام الجميع، هل سيشفع له ذلك؟
نعم، سأراه يوم القيامة يتخبط في نار جهنم المستعرة، وسأخرجه منها إلى نارٍ هادئة.(3)
بعد ثلاثة أيامٍ من رحيل العم الودود، خطف الموت خديجة.(4)
خديجة، أعلم أنك لا ترغبين بأن أراكِ وأنتِ في هذه الحالة، أليس كذلك؟

قال محمد أنه تزوج عائشة بأمرٍ من عند الله.
رأيتك في المنام ثلاث ليالٍ.
حملكِ الملاك إليّ في رداءٍ من الحرير وقال:
هذه زوجتك، اكشف عن وجهها.
وقد كنتِ أنتِ.
وهو كذلك.(11)
تَذكُر عائشة أن زوجها كان يضعها في حجره ويلعب معها.
لم تُخفِ فاطمة ابنة محمد المدللة عداءها للزوجة الصغيرة.
وأوصت بألّا تحضر زوجة أبيها طقوس غسلها بعد موتها.(12)
ويوم موت فاطمة، حضرت كل نساء محمد الجنازة، إلّا عائشة التي ادّعت المرض.

اعلمي أن الله سيزوجني بثلاث نساءٍ أخريات في الجنة بالإضافة إليكِ، وهنّ مريم بنت عمران وكلثوم أخت موسى التي علّمت قارون الكيمياء...
... وآسيا زوجة فرعون.
هل قال الله هذا ؟
أجل
إذاً ، بالرفاء والبنين.(5)
بعد بضعة أيامٍ من وفاة خديجة، جاءت امرأةٌ لرؤية محمد.
لمَ لا تتزوج؟
من؟
كما تشاء، أرملة أو عذراء.
من العذراء؟
ابنة أبي بكر.
والأرملة ؟
سودة بنت زمعة، فهي تؤمن برسالتك.
اذهبي واخطبي لي الاثنتين.

ذهبت الخاطبة أولاً للقاء سودة.
لقد أرسلني رسول الله لأطلب يدكِ.
اسألي والدي.
هو مقتدر وكريم النسب، لكن ما رأي ابنتي؟
هي موافقة.
أرسل والدها العجوز بطلب محمد ليتمم مراسم الزواج في نفس اليوم.
بعد سماع عبد أخو سودة بالخبر، أخذ يلطم ويهيل التراب على رأسه.
وعندما اعتنق الإسلام فيما بعد، اعترف بندمه على فعلته.
بعد زواجه من سودة، أرسل محمد نفس المرأة مباشرة إلى أقرب أصدقائه أبي بكر.
هل يليق بمحمد أن يطلب يد صغيرتي عائشة؟
هي ابنة أخيه!
أخبريه أنّي أخوه في الإسلام، وهو أخي في الإسلام لهذا يمكنني الزواج من ابنته.(6)

لم تتجاوز عائشة السبع سنوات عندما تزوجت بخير الأنام.(7)
كانت قد ولدت في السنة الرابعة للبعثة، وكانت العذراء الوحيدة بين نسائه، وكانت تفتخر بذلك.
يا رسول الله، إذا وصلت إلى هضبةٍ ووجدت شجرتين...
...
واحدة ثمارها سليمة، والثانية ثمارها مأكولة، فأيهما تختار؟
أختار التي لم يمسها أحدٌ بكل تأكيد.(8)
محمد الذي تزوّج عدة مرات بعد وفاة خديجة، كان يُفضّل عائشة على زوجاته، مع أنه كان يعدل بين نسائه.(9)
في أحد الأيام، سأل عمرو بن العاص، وكان قائدًا مهمًا، سأل الرسول:
من التي تحبها أكثر من غيرها بين نسائك؟
عائشة.
ومن الرجال؟
أباها.(10)

لم تتحمل الحميراء الغيورة ذلك الحب الكبير الذي يكنّه زوجها العجوز لابنته.

كانت تغار حتى من مشاعره تجاه خديجة.

لماذا لا زلت تفكر في تلك العجوز صاحبة الشفاه المحمرة التي ماتت منذ زمن وعوّضك الله بأفضل منها؟(13)

بعد زواج محمد من زينب بنت جحش، رأت عائشة زوجها يتلذذ بعسلٍ أهدته إياه زوجته الجديدة.

فتحالفت مع حفصة واتفقتا على إيهام الرسول بأنّ العسل سبّب له رائحة فم كريهة، وهكذا أوحى الله لرسوله سورة التحريم لتحذيره من مؤامرة زوجتيه الغيورتين.(14)

صارت عائشة أرملة في الثامنة عشر من عمرها، وروت أكثر من ألفي حديثٍ عن زوجها بعد وفاته.(15)

رغم أنها لم ترزق بأبناء، فقد لُقبت بأم المؤمنين مثل باقي زوجات الرسول الأمين.(16)

كان محمدٌ قد أوصى صحابته أن يتعلموا دينهم من زوجته الصغيرة.

خذوا دينكم من هذه الحميراء.

وفاة أبي طالبٍ وخديجة:

(1). لتعلم أنهما ماتا في عام واحد، وذلك قبل الهجرة إلى المدينة بثلاث سنين، وبعد مضي عشر سنين من بعثته صلى الله عليه وسلم: أي من مجيء جبريل عليه الصلاة والسلام بالوحي.

(2). وفي الوفاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم: خلوا بيني وبين عمي، فقالوا: ما نحن بفاعلين؛ وما أنت بأحق به منا، إن كانت لك قرابة فإن لنا قرابة مثل قرابتك، فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا ابن أخي هؤلاء أشراف قومك. وقد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك. وفي لفظ: سألوك النصف، فقد أنصفوك أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك وإلهك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرأيتكم إن أعطيتكم ما سألتم هل تعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم؟ أي تطيع وتخضع، فقال أبو جهل: نعم وآتيك عشر كلمات. وفي لفظ لنعطيكها وعشرا معها، فما هي؟ قال: تقولون لا إله إلا الله وتقلعون عما تعبدون من دونه، فصفقوا بأيديهم ثم قالوا يا محمد أتريد أن تجعل الآلهة إلها واحدا، إن أمرك لعجب، فأنزل الله تعالى ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ [ص: 1] إلى آخر الآيات، وفي لفظ قالوا: أيسع لحاجاتنا جميعا إله واحد، وفي لفظ قالوا: سلنا غير هذه الكلمة. وفي لفظ أن أبا طالب قال: يا بن أخي هل من كلمة غيرها، فإن قومك قد كرهوها، قال: يا عم ما أنا بالذي يقول غيرها، ثم قال صلى الله عليه وسلم: لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها، ثم قال بعضهم لبعض: والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئا مما تريدون، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ثم تفرقوا. وفي لفظ قالوا عند قيامهم: والله لنشتمك وإلهك الذي يأمرك بهذا، أي وفي لفظ لتكفن عن سبّ آلهتنا أو لنسبن إلهك الذي أمرك بهذا. وعند ذلك قال أبو طالب لرسول صلى الله عليه وسلم: والله يا بن أخي ما رأيتك سألتهم شحطا أي بالحاء والطاء المهملتين أمرا بعيدا، فلما قال ذلك طمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه، فجعل يقول: أي عم فأنت فقلها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة: أي لو ارتكبت ذنبا بعد قولها، وإلا فالإسلام يجبّ ما قبله، فلما رأى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: والله يا بن أخي لولا مخافة السبة: أي العار عليك وعلى بني أبيك من بعدي، وأن تظن قريش أني إنما قلتها جزعا: أي بالجيم والزاي خوفا من الموت، وهذا هو المشهور. وقيل بالخاء المعجمة والراء، أي ضعفا لقلتها، وفي رواية: لأقررت بها عينك لما أرى من شدة وجدك، لكني أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف، فأنزل الله تعالى إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ [القصص: 56] الآية.

(3). ويرده أيضا ما في الصحيحين عن العباس رضي الله تعالى عنه أنه قال «قلت يا رسول الله إن أبا طالب كان يحيطك وينصرك فهل ينفعه ذلك؟ قال نعم، وجدته- أي كشف لي عن حاله وما يصير إليه يوم القيامة- فوجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح» أي وفي لفظ آخر «قال نعم، هو- أي يوم القيامة- في ضحضاح من النار، لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار».

■ علي الحلبي، السيرة الحلبية، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، ج1، ص: -488 -490 492، 1427هـ.

(4). قول الحافظ عماد الدين بن كثير المشهور أنه مات قبل خديجة رضي الله تعالى عنها: أي بثلاثة أيام.

(5). ويذكر: «أنه صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة رضي الله تعالى عنها وهي مريضة فقال لها: يا خديجة أتكرهين ما أرى منك، وقد يجعل الله في الكرة خيرا؟ أشعرت أن الله قد أعلمني أنه سيزوجني» وفي رواية «أما علمت أن الله قد زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران، وكلثم أخت موسى وهي التي علمت ابن عمها قارون الكيمياء، وآسية امرأة فرعون، فقالت: الله أعلمك بهذا يا رسول الله؟» وفي رواية: «الله فعل ذلك يا رسول الله؟ قال نعم، قالت: بالرفاء والبنين».

■ علي الحلبي، السيرة الحلبية، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، ج1، ص: -493 494، 1427هـ.

زواج محمد من سودة وعائشة:

(6). عن خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون قالت: «قلت لما ماتت خديجة: يا رسول الله ألا تتزوج؟ قال: من؟ قلت: إن شئت بكرا، وإن شئت ثيبا، قال: فمن البكر؟ قلت: أحق خلق الله بك، بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما، قال: ومن الثيب؟ قلت: سودة بنت زمعة، قد آمنت بك واتبعتك على ما تقول، قال: فاذهبي فاذكريهما عليّ، قالت: فدخلت على سودة بنت زمعة فقلت لها: ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة؟ قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطبك عليه، قالت: وددت، ادخلي على أبي فاذكري ذلك له وكان شيخا كبيرا فدخلت عليه وحيته بتحية الجاهلية فقال: من هذه؟ قلت: خولة بنت حكيم، قال: فما شأنك؟ قلت: أرسلني محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة، قال: كفء كريم، قال: ما تقول صاحبتك؟ قالت تحب ذلك، قال ادعيها إلي، فدعوتها قال: أي بنية إن هذه تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك وهو كفء كريم، أتحبين أن أزوجك منه؟ قالت نعم، قال: ادعيه لي، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه إياها، ولما قدم أخوها عبد بن زمعة وقد بلغه ذلك صار يحثي على رأسه التراب، ولما أسلم قال: لقد كدني السفه يوم أحثي على رأسي التراب إذ تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة يعني أخته» وذهبت خولة إلى أم رومان أم عائشة فقالت لها «ماذا أدخل الله عليكم من البركة والخير؟ قد أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة، قالت: انتظري

أبا بكر حتى يأتي، فجاء أبو بكر فقلت له: يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟ قال: وما ذاك؟ قلت: قد أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة، قال: وهل تصلح أي تحل له؟ إنما هي بنت أخيه، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك، فقال: ارجعي إليه، فقولي له: أنا أخوك وأنت أخي في الإسلام، وابنتك تصلح لي- أي تحل، فرجعت فذكرت ذلك له،]..[فقال لخولة: ادعي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعته فزوجه إياها وعائشة حينئذ بنت ست سنين، وقيل سبع سنين وهو الأقرب.

■ علي الحلبي، السيرة الحلبية، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، ج1، ص: -490 491، 1427هـ.

(7). وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبي بكر الصديق بمكة، وهي بنت سبع سنين، وبنى بها بالمدينة، وهي بنت تسع سنين أو عشر، ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرا غيرها، زوجه إياها أبوها أبو بكر، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة درهم.

■ ابن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، ج2، ص: 644، 1375هـ.

(8). عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قلت يا رسول الله أرأيت لو نزلت واديا وفيه شجرة قد أكل منها ووجدت شجرا لم يؤكل منها في أيها كنت ترتع بعيرك قال في الذي لم يرتع منها». تعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها. صحيح البخاري، حديث رقم 4712.

(9). قالت عائشة لنساء النبي صلى الله عليه وسلم: فضلت عليكن بعشر ولا فخر: كنت أحب نسائه إليه، وكان أبي أحب رجاله إليه، وابتكرني ولم يبتكر غيري، وتزوجني لسبع ، وبنى بي لتسع ، ونزل عذري من السماء ، واستأذن النبي صلى الله عليه وسلم نساءه في مرضه ، فقال : إنه ليشق علي الاختلاف بينكن، فائذن لي أن أكون عند بعضكن ، فقالت أم سلمة : قد عرفنا من تريد ، تريد عائشة . قد أذنا لك. وكان آخر زاده من الدنيا ريقي، أتي بسواك، فقال: انكثيه يا عائشة، فنكثته، وقبض بين حجري ونحري، ودفن في بيتي. الحافظ الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ط2، ج 2، ص: 147، 1405ه وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبي بكر الصديق بمكة، وهي بنت سبع سنين، وبنى بها بالمدينة، وهي بنت تسع سنين أو عشر، ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرا غيرها ، زوجه إياها أبوها أبو بكر ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة درهم .

■ ابن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، ج2، ص: 644، 1375هـ.

(10). وكان تزويجه صلى الله عليه وسلم بها إثر وفاة خديجة، فتزوج بها وبسودة في وقت واحد، ثم دخل بسودة، فتفرد بها ثلاثة أعوام حتى بنى بعائشة في شوال بعد وقعة بدر. فما تزوج بكرا سواها، وأحبها حبا شديدا كان يتظاهر به، بحيث إن عمرو بن العاص، وهو ممن أسلم سنة ثمان من الهجرة، سأل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال: «عائشة» قال: فمن الرجال؟ قال: «أبوها».

■ سير أعلام النبلاء، ج2، ص: 142-141.

(11). عن عائشة أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أريتك في المنام ثلاث ليال جاءني بك الملك في سرقة من حرير فيقول هذه امرأتك فأكشف عن وجهك فإذا أنت هي فأقول إن يك هذا من عند الله يمضه.

■ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء الثرات العربي، كتاب فضائل الصحابة: باب في فضل عائشة رضي الله عنها، حديث رقم 2438، ج4، ص:1889.

غيرة زوجات محمد:

(12). حدثنا محمد بن موسى، عن عون بن محمد بن علي بن أبي طالب، عن أمه أم جعفر، عن عمارة بن مهاجر، عن أم جعفر أن فاطمة قالت لأسماء بنت عميس: إني أستقبح ما يصنع بالنساء، يطرح على المرأة الثوب، فيصفها. قالت: يا ابنة رسول الله، ألا أريك شيئا رأيته بالحبشة؟ فدعت بجرائد رطبة فحنتها، ثم طرحت عليها ثوبا. فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله! إذا مت فغسليني أنت وعلي، ولا يدخلن أحد علي. فلما توفيت، جاءت عائشة لتدخل، فقالت أسماء: لا تدخلي، فشكت إلى أبي بكر، فجاء، فوقف على الباب، فكلم أسماء، فقالت: هي أمرتني. قال: فاصنعي ما أمرتك، ثم انصرف.

■ سير واعلام النبلاء، ج2، ص: 129-128.

(13). عن عائشة رضي الله عنها: ما غرت على أحد ما غرت على خديجة رضي الله عنها، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت له صلى الله عليه وسلم يوما وقد مدح خديجة رضي الله عنها: ما تذكر من عجوز حمراء الشدقين قد بدلك الله خيرا منها، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «والله ما أبدلني الله خيرا منها، آمنت بي حين كذبني الناس، وواستني بمالها حين حرمني الناس، ورزقت منها الولد وحرمته من غيرها».

■ السيرة الحلبية، ج3، ص: 440.

(14). وفي البخاري في سبب نزول الآية عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب عسلا عند زينب ابنة جحش ويمكث عندها، فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها، فلتقل له صلى الله عليه وسلم أكلت مغافير: أي أجد منك ريح مغافير، فدخل على حفصة رضي الله عنها، فقالت له ذلك، فقال لها: لا ولكني كنت أشرب عسلا عند زينب ابنة جحش فلن أعود له، وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدا». أي لأنه صلى الله عليه وسلم لا يحب أن يظهر منه ريح كريهة، لأن المغافير صمغ العوسج من شجر الثمام كريه الريح. السيرة الحلبية، ج3، ص: 442.

(15). مسند عائشة يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث. اتفق لها البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثا، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين. سير أعلام النبلاء، ج2، ص: 139.

(16). ليس على وجه الأرض امرأة إلا خديجة، والله لقد آمنت بي إذ كفر بي قومك ورزقت منها الولد وحرمتموه.

■ السيرة الحلبية، ج3، ص: 440.

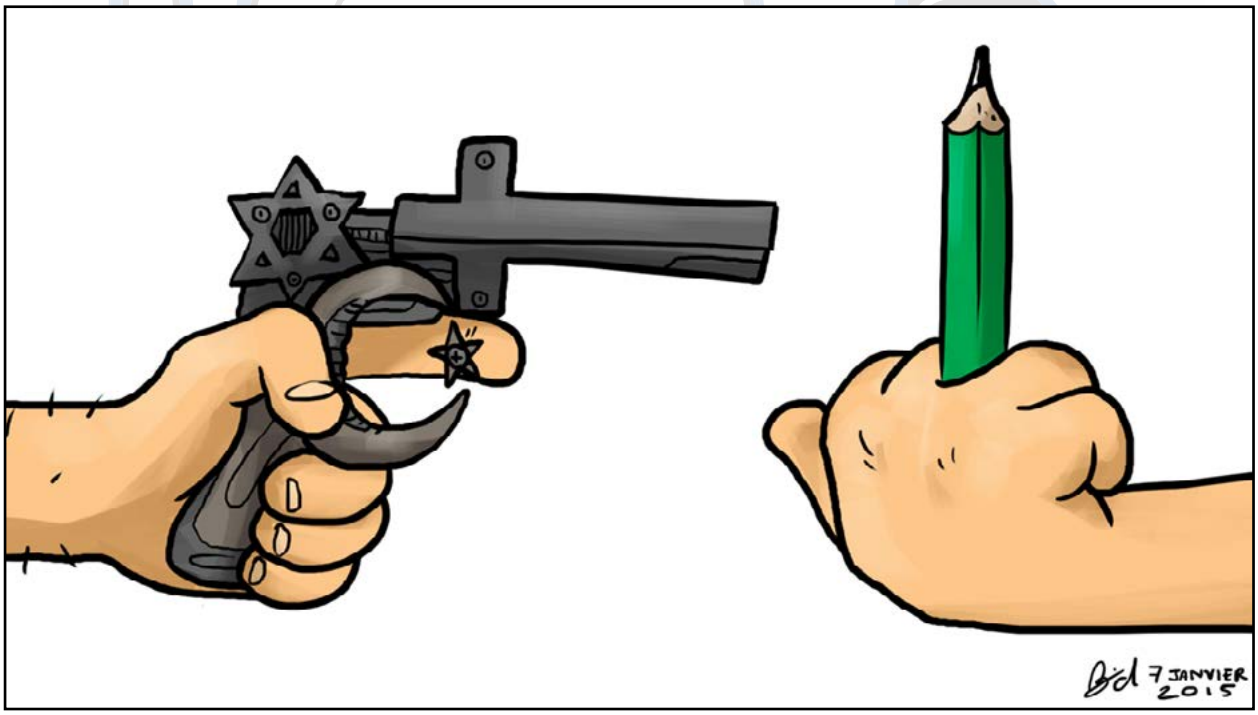

كاريكاتور

Golden Eagle
(طائر حر)

الفارق الوحيد أن فرشاة الأسنان لها وجود حقيقي

Sami Jamal

يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ فَرَاشٍ تُفَرْشِو بها أسنانَكُم وَمَعجُوناً وَتَنظيفِ الأسنانِ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ

هذه الاية المفقودة لو عاصر محمد فراشي الأسنان.. لكن للأسف أكلتها السوسة

Brahim Islmeoun

لكن تذكر أن فرشاة الأسنان مهمة جدا في حياتنا اليومية

Mvr Almisqi

اللهم فرشي ذنوبنا يوم لا فرشاة إلا أنت

مجلة الملحدين العرب

مجلة شهرية بجهود فردية تصدر في الثاني عشر من كل شهر

The Arab Atheists Magazine is a digital publication produced by volunteers and committed to promoting the thought and writings of atheists of various persuasions with complete freedom. The Magazine does not adopt or endorse any form of political ideology or affiliation

Contributors bear the full responsibility of the content, illustrations and topics they provide insofar as it covers copyright and issues of intellectual property

Express permission for to publish in the Magazine is provided by contributors, whether they are members of the Arab Atheists Magazine Group of other atheists and non-religious contributors

The Magazine does not publish material that is unethical or that incites racism or bigotry

The Editorial Board reserves the right to republish content originally published on the Magazine's Facebook group, as publishing there implicitly contains consent for republication in the Magazine

موقع المدونة الخاصة بنا للأرشفة على الإنترنت:
www.aamagazine.blogspot.com
البريد الإلكتروني
el7ad.organisation@gmail.com